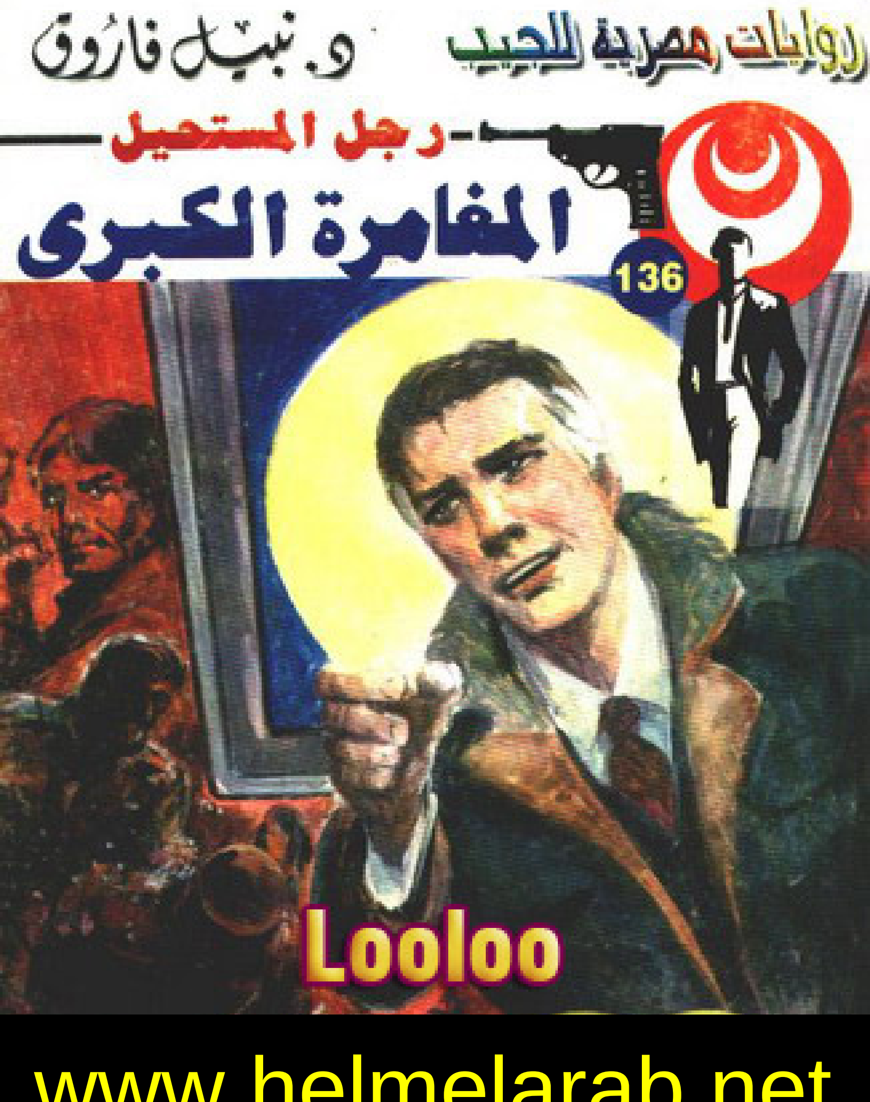

روايات مصرية للجيب
د. نبيل فاروق
رجل المستحيل
المغامرة الكبرى
136
Looloo

# رجل المستحيل

(أدهم صبرى) .. ضابط مخابرات مصرى، يرمز إليه بالرمز (ن-١) .. حرف (النون)، يعنى أنه فئة نادرة، أما الرقم (واحد) فيعنى أنه الأول من نوعه؛ هذا لأن (أدهم صبرى) رجل من نوع خاص .. فهو يجيد استخدام جميع أنواع الأسلحة، من المسدس إلى قاذفة القنابل.. وكل فنون القتال، من المصارعة وحتى التايكوندو.. هذا بالإضافة إلى إجادته التامة لستّ لغات حيّة، وبراعته الفائقة فى استخدام أدوات التنكّر و(المكياج)، وقيادة السيارات والطائرات، وحتى الغواصات، إلى جانب مهارات أخرى متعدّدة.

لقد أجمع الكل على أنه من المستحيل أن يجيد رجل واحد فى سن (أدهم صبرى) كل هذه المهارات .. ولكن (أدهم صبرى) حقق هذا المستحيل، واستحق عن جدارة ذلك اللقب الذى أطلقته عليه إدارة المخابرات العامة لقب (رجل المستحيل).

د. نبيل فاروق

## ١- الجنرال ..

التقى حاجبا مدير المخابرات الروسية فى توتر ملحوظ، وهو يقف فى الممر الطويل، فى ذلك المبنى التابع للمخابرات، الذى شهد، من ساعات قليلة، انفجار أحد مصاعد الأمن، على نحو كاد يودى بالكولونيل ( سيرجى كوربوف ) نفسه .

وفى أحد أركان الممر، انهمك فريق من خبراء المفرقعات والمتفجرات، فى فحص بعض الآثار الواضحة، على نحو يوحى بأهمية وخطورة الأمر، فى حين شدّ الجنرال ( جوزيف كواليسكى ) قامته، وتنحنح فى قوة، وهو يقول فى صرامة :

- تقرير الخبراء سيثبت ما ورد فى تقريرى يا سيّدى .. هؤلاء المصريون خبراء قتل بحق، وهم المسئولون عما أصاب الكولونيل ( سيرجى ) .

ثم ارتفع صوته، واكتسى ببعض الحدة، وهو يضيف :

- لقد اختطفونى بالقوة ، وكادوا يقتلوننى ، لولا أن نجحت فى الفرار منهم بأعجوبة .

ازداد انعقاد حاجبى مدير المخابرات ، وهو يتمتم فى صرامة متوترة :

- عقلى عاجز عن الاقتناع بهذا تمامًا .

ثم التفت إليه ، مكملاً بصرامة أكثر :

- تاريخ (أدهم صبرى) كله يؤكِّد استحالة لجوئه إلى مثل هذه الأمور العنيفة دون مبرِّر .. ربما كان من الممكن أن يقاتل مع زملائه بأضعاف هذه الشراسة ، لو أننا نعتقلهم هنا ، أو نسعى لتدميرهم ، بأية وسيلة كانت ، ولكننا ، على العكس تمامًا ، كنا نستضيفهم ، ونستعد لإعادتهم إلى وطنهم معززين ، على الرغم من كل ما فعلوه هنا .

وهزَّ رأسه فى قوة ، قبل أن يضيف بمنتهى العصبية :

- ثم إن (سيرجى كوربوف) صديق لـ (أدهم)



وهو الذى أنقذ حياته ، عندما سقط مصابًا وسط الثلوج(*) ، وكلاهما رجل مخابرات حازم ، مخلص ، وشريف ، فلماذا يسعى أحدهما لقتل الآخر ؟!

قال الجنرال فى صرامة :

- لا تنس ياسيِّدى أن الكولونيل (كوربوف) قد سعى يومًا لتدمير (أدهم) الأسطورى هذا(**) ، وربما احتفظ الأخير بغصة فى حلقه من يومها ، و ...

لوَّح مدير المخابرات الروسية بيده يقاطعه ، وهو يقول فى حدة :

- أى هراء سخيف هذا ؟! مافعله (كوربوف) آنذاك ، كان جزءًا من عمله ، ثم إن الرجلين قد تصافيا فيما بعد ، وربطت بينهما صداقة من نوع خاص ، جعلت كلاً منهما يبذل حياته فى سبيل وطنه ، دون أن يمانعا فى التعاون والتآزر ، فى مواجهة خطر مشترك ، إذا

(*) راجع قصة (الأبطال) .. المغامرة رقم (١٣٤) .

(**) راجع قصة (سم الكوبرا) .. المغامرة رقم (٥١) .

ما حتمت الأمور هذا(*) ، وناضجان مثلهما لن يفكرا أو يتعاملا بهذا الأسلوب المراهق ، تحت أية ظروف .

انعقد حاجبا (كواليسكى) فى توتر ، وهو يغمغم :

ـ سنرى .

لم يكد ينطقها ، حتي نهض أحد خبراء المتفجرات ، واتجه نحوهما ، قائلا فى حزم :

ـ الفحص يؤكِّد صحة رواية الجنرال (كواليسكى) يا سيِّدى .

تألَّقت عينا ( كواليسكى ) فى ظفر ، فى حين هتف مدير المخابرات الروسى ، فى لهجة حملت لمحة من الدهشة :

ـ حقًّا ؟!

تابع الخبير فى حسم الواثق :

ـ لقد استخدموا بالفعل شحنة متفجرة ، يتمّ إشعالها بوساطة جهاز تحكُّم عن بعد ، وبوسيلة تشفَّ عن

---

(*) راجع قصة ( محيط الدم ) .. المغامرة رقم (١٣٠) .



أنهم خبراء فى هذا المجال ، خاصة وأنهم قد استخدموا جهاز التحكُّم الخاص بالتلفاز ، للقيام بهذا العمل .

هتف ( كواليسكى ) :

ـ أرأيت ؟!

رمقه المدير بنظرة صارمة قاسية ، جعلته يطبق شفتيه ، ويعقد حاجبيه فى حنق ، فعاد المدير ببصره إلى الخبير ، متسائلاً :

ـ وكيف حصلوا على الشحنة المتفجرة ؟!

رفع الخبير سبَّابته ، مجيبًا فى حماسة عجيبة :

ـ بلمحة عبقرية .

ثم واصل بنفس الحماسة ، وكأنما يصف أمرًا يروق له بشدة :

ـ الأمر أشبه بصنع تحفة فنية يا سيِّدى .. لقد استعانوا بأجزاء أحد أجهزة المراقبة ، التى انتزعوها

من الجدار ، ثم رتبوا الأمر بعبقرية لم أر مثيلاً لها ، فى حياتى كلها ، فالفتاة طلبت مزيلاً لرائحة العرق ، على شكل بخاخة صغيرة ، والطبيب طلب بعض الخل لمعدته ، والبدين حصل على علبة سجائر روسية الصنع وقدّاحة صغيرة تعمل بالغاز .. وبهذه الأشياء البسيطة صنعوا قنبلة محدودة .. تصوّر !!

والتقط نفسًا عميقًا ، قبل أن يكمل بحماسة متزايدة :

- صدقنى ياسيدى .. لولا أن خبيرة مفرقعاتهم هذه مصرية ، لجثوت على ركبتىّ أمامها ، أرجوها أن تنضمّ لفريقنا ، و ...

قاطعه المدير فى ضيق ، وكأنما لاتروق له هذه الحماسة الزائدة :

- مزيل لرائحة العرق ، وبعض الخل وقدّاحة ؟! أية قنبلة هذه ؟!

هزّ الخبير كتفيه ، وقال :

- إنهم لم يحاولوا صنع قنبلة تدميرية .. فقط وسيلة



لتشتيت الانتباه لحظيًا .. وما أتصوّره هو أن الجنرال ورجاله كانوا يواجهونهم ، فضغط أحدهم زر جهاز التحكّم عن بعد ، لينسف تلك الشحنة المتفجرة المحدودة ، لتشتيت انتباههم لحظة ، ينقضون هم خلالها عليهم .

انعقد حاجبا المدير ، وهو يعيد دراسة الموقف كله ، على ضوء المعلومات الأخيرة ، فى حين غمغم (كواليسكى) فى صرامة :

- أوغاد !

استدار المدير إليه ، قائلاً :

- السؤال الحقيقى ياجنرال ، هو : كيف حصل أولئك الأوغاد على كمية مفجّر (C4) ، التى نسفت المصعد ، أو على جهاز فحص الشفرة ، المستخدم لتفجيرها ، بدائرته الدقيقة المعقّدة .

هتف (كواليسكى) :

- إنهم خبراء .

قال المدير فى صرامة حادة :

– وماذا عن الخامات ؟! من أين حصلوا عليها ؟! لقد سمعت بنفسك أنهم يستخدمون خامات من البيئة المتاحة فحسب .

احتقن وجه (كوليسكى) ، وبدا له أن المدير قد أوقعه فى فخ سخيف ، وهو يحاول عبثًا العثور على جواب منطقى ، ولما عجز عن هذا ، قال فى عصبية :

– على أية حال ، كل هذا لم يعد مجديًا الآن ، فقد عثر رجالى عليهم بالفعل ، و ...

قاطعه المدير فى حدة صارمة :

– نعم .. لم يعد مجديًا .

قالها ، وذهنه يستعيد تلك الأحداث منذ بدايتها ..

أو ما يعرفه منها على الأقل ..

وكلها بدأت بعد إصابة (أدهم) وسط جليد (موسكو) ، إثر مواجهته العنيفة ، وفريقه الجديد ، مع (إيفان إيفانوفيتش) ، زعيم (المافيا) الروسية ، ورأس الأفعى



الإجرامية الرهيبة ، التى نمت فى توحش ، إثر انهيار الاتحاد السوفيتى ، وتفككه ، وأزمته الاقتصادية الطاحنة(*) ..

فعلى الرغم من أن عملية (أدهم) وفريقه كانت خارج القوانين والنظم الروسية ، إلا أن نجاحهم فيها ، مع جهود (مصر) الدبلوماسية ، ساعدا على امتصاص الروس للموقف ، واستعدادهم لإعادة الجميع إلى وطنهم ..

وفى أثناء زيارة (منى) و(قدرى) لـ (أدهم) ، الذى يتلقى علاجًا خاصًا جدًا ، فى مستشفى القاعدة الفضائية الروسية ، قامت (المافيا) الجديدة بمحاولة بالغة العنف والوحشية ؛ للقضاء عليه وعلى فريقه ، قبل أن يستعيد وعيه ..

ولكن المعجزة حدثت ..

واستعاد (أدهم) وعيه ..

استعاده فى لحظة حاسمة ، لينقذ شقيقه ، وصديقه ، وزميلته التى لم يعشق يومًا سواها ..

(*) راجع قصة (الأبطال) .. المغامرة رقم (١٣٤) .

ومنذ تلك اللحظة ، اشتعلت الدنيا ، ولم تهدأ قط ..

فالشىء الذى مـا زال يجهلـه مدير المخـابرات الروسية ، هو أن (المافيا) قد صار لها زعيم جديد .

زعيم يُدعى (يورى إيفانوفيتش) ، شقيق زعيمها السابق (إيفان إيفانوفيتش) .. زعيم جديد ، شرس ، عنيف ، قاس ..

ومجنون ..

مجنون يسبح فى ذلك الفراغ الباهت ، ذى الحدود الواهية ، بين العبقرية والجنون ..

ولكن المؤكّد أنـه يمتلك منظورًا دقيقًا ، وقـدرة مدهشـة علـى رصد مشاعر وانطباعات الآخريـن ، واستنباط ردود أفعالهم ، بدقة مالها من مثيل ..

لذا ، فقد أدار اللعبة كلهـا بعبقريـة مذهلـة ، على الرغم من جنونه ، المطبق ..

نسف مصعد أمن خاصًا ، فـى وجـه (سيرجى كوربوف) ؛ ليزيحه عن قيادته لعملية تأمين (أدهم)



والآخرين ، ثم رتـب الأمـور كلهـا ، بحيث يدفع المجموعة المصرية كلها إلى حيث يريد ..

وبمنتهى الدقة ..

وعلى الرغم من براعتهم وقدراتهم المدهشـة ، كان (أدهم) ورفاقه يسيرون على نفس النهج ، الذى أعدّه وتوقّعه (يورى إيفانوفيتش) ، حتى عندما اضطـروا لمهاجمة الجنرال الخائن (كواليسكى) وفريقه المسلح ، وفروا من المبنى التابع للمخابرات الروسية ، لتنطلق (روسيا) بطرفيها خلفهم بلا هوادة ..

الطرف الرسمى ، باعتبارهم أعداء للدولة الروسية ..

والطرف الإجرامى ، باعتبارهم هدفًا رئيسيًا لانتقام (المافيا) الروسية ..

وعن طريق جهاز تتبُّع ، مزروع خفيـة فى سيارة الأمن ، التـى فـروا بهـا ، توصّـل رجـال الجنـرال (كواليسكى) إلـى السيارة ، داخل الشارع الجانبى الضيق ، الذى أوقفها (أدهم) فيه ..

وانطلقت رصاصاتهم نحوها ، فى غزارة ليس لها من مثيل ..

وداخل الشارع الضيق الصغير ، وفى قلب (موسكو) ، انفجرت السيارة بمنتهى القوة والعنف ..

انفجرت بكل ما فيها ..

ومن فيها(*) ..

* * *

« إنه دوى انفجار ! »

هتف الجنرال (فاسيلوف) بالعبارة فى توتر بالغ ، وهو يلتفت إلى حيث سمع دوى الانفجار البعيد بحركة حادة ، فأمسكت (زوشا) ذراعه فى قوة ، حتى إن أصابعها الفولاذية قد غاصت فى عضلاته بقسوة ، وهى تقول فى صرامة :

ـ لا تشغل نفسك بأمره .

(*) لمزيد من التفاصيل ، راجع الجزء الأول ( الأستاذ ) .. المغامرة رقم (١٣٥) .



قال فى عصبية ، وهو يجذب يدها فى قوة ، محاولاً انتزاعها من ذراعه :

ـ إنه انفجار .. لايمكننى أن أخطئ معرفته .. أنا رجل حرب قديم .

جذبته فى قسوة إلى ذلك المنزل القديم ، الذى يبدو من الخارج مهجورًا مقفرًا ، وهى تكرّر فى صرامة أكثر :

ـ قلت لا تشغل نفسك بأمره .

صاح بها فى حدة :

ـ إنك تؤلميننى .

انتبهت عندئذ فقط إلى عنف تعاملها معه ، فتركت ذراعه ، ودفعته من ظهره ، قائلة فى خشونة :

ـ إنه موعدك مع (يورى) ، وهو يكره الانتظار .

قال الجنرال فى غضب :

ـ لقد أتيت فى موعدى .

قالت بنفس الخشونة :

- لاتضع الوقت إذن .

توقفت معه أمام جدار قديم ، وضغطت جزءًا خفيًا منه ، فانزاح جزء من ركنه ، ليكشف فتحة انبعث من خلفها ضوء خافت ، فى حين التفتت هى إليه ، قائلة فى صرامة فظة :

- مسدسك يا جنرال .

أجابها فى عصبية :

- لست أرتدى زيى الرسمى ، أو أحمل سلاحًا .

قالت ، فى لهجة تحمل لمحة سخرية :

حقًا !

ثم راحت تفحصه فى سرعة وعدم لياقة ، على نحو جعله يقول ، فى عصبية أكثر :

- قلت : إننى لا أحمل سلاحًا .

اعتدلت ، قائلة بنفس الغلظة السابقة :

- لا ضير من التيقن .



ثم دفعته نحو تلك الفتحة ، قائلة بصوت مرتفع نسبيًا :

- الجنرال ( فاسيلوف ) أيها الزعيم .

اندفع الجنرال داخل حجرة بالغة الأناقة ، لايمكنك أن تتخيل وجودها ، فى منزل قديم مهجور كهذا ، بها مكتبة ضخمة ، تكتظ بعشرات الكتب والمراجع ، ويتوسّط الجدار المقابل لمدخلها مكتب مطعّم بالنحاس الأحمر ، مع قطع وحليات من الذهب الخالص ، يجلس خلفه ( يورى ) ، وأمامه مصباح أنيق ، هو الضوء الوحيد فى تلك الحجرة ذات الجدران المغلقة ، التى لا تحوى أية نوافذ أو مخارج أخرى ، بخلاف تلك الفتحة السرية ..

وما إن وقع بصر ( يورى ) عليه ، حتى ارتسمت على شفتيه ابتسامة ظافرة واثقة ، ونفث دخان سيجارته القصيرة ، ذات الرائحة النفّاذة القوية ، قبل أن يقول فى هدوء :

- كنت أعلم أنك ستأتى فى موعدك .

تقدم ( فاسيلوف ) نحوه ، وهو يقول فى عصبية :

- مواعيدى دائمًا منضبطة .

ابتسم ( يورى ) ابتسامة عجيبة ، لايمكنك أن تجزم بما إذا كانت ابتسامة إعجاب أم سخرية ، وهو يقول :

- هذه سمة رجال الجيش فى المعتاد .

مدّ الجنرال يده ليصافحه ، إلا أن ( يورى ) تجاهل اليد الممدودة إليه تمامًا ، وهو يشير إلى المقعد المقابل لمكتبه ، قائلاً :

- اجلس يا جنرال .

احتقن وجه الجنرال ( فاسيلوف ) ، وهو يستعيد يده ، واتسعت عيناه بنظرة غاضبة مستنكرة ، ولكن ( يورى ) لم يبال بانفعالاته هذه ، وهو يتراجع فى مقعده ، قائلاً :



- أظنها ليست أوّل مرة تأتى فيها إلى هذا المكان .. لقد كان يخصّ شقيقى ، ( إيفان ) فيما مضى .

جلس الجنرال ، وهو يقول بنفس العصبية ، والوجه المحتقن :

- ولماذا آتى إلى مكان كهذا ؟!

انفجر ( يورى ) ضاحكًا فجأة ، فى سخرية فجة ، جعلت الجنرال يهتف فى غضب :

- ما الذى يضحكك بالضبط ؟!

اعتدل ( يورى ) ، وبتر ضحكته بغتة ، وانعقد حاجباه فى صرامة وحشية ، وهو يقول ، رافعًا يده بأسطوانة مدمجة :

- إننى أمتلك النسخة الوحيدة من هذه .

حدّق الجنرال فى الأسطوانة ، وهو يغمغم فى توتر شديد :

- وما هذه بالضبط ؟!

مال ( يورى ) نحوه ، مجيبًا بشراسة مخيفة :

ـ القائمة الكاملة ، لأسماء كل من تقاضى رشوة ، أو راتبًا شـهريًا مـن ( المافيـا ) الروسـية ، إبـان زعامة ( إيفان ) لها .. هل تحب أن أقرأ لك الجزء الخاص بالجيش منها يا جنرال .

امتقع وجه الجنرال ، وبدا وكأنما انكمش فى مقعده ، وهو يغمغم ، فى صوت فقد كل حدته وصرامته :

ـ كان مجردُ قرض صغير ، و ...

قاطعه ( يورى ) ، وهـو يـتراجع فـى مقعـده ، ويفتح درج مكتبه ، ليلقـى داخلـه الأسـطوانة فـى إهمال :

ـ المهم أن يقتنع المسئولون بهذا .

امتقع وجه الجنرال أكثر ، وخفض عينيه فى شىء من المذلّة ، وهو يزدرد لعابه فى صعوبة ، مغمغمًا :

ـ إننى لم أرفض التعاون يا سيّد ( يورى ) .



هتف ( يورى ) :

ـ بالطبع يا جنرال .. فلنقل إنها مصارحة أصدقـاء ليس أكثر .

أومأ الجنرال برأسه فى استسلام ذليل ، قبل أن يرفع إليه وجهًا شاحبًا ، وهو يغمغم فىّ خفوت :

ـ ماذا تطلب بالضبط يا سيّد ( يورى ) .

تراجع ( يورى ) أكثر فى مقعده ، وأشعل سيجارة أخرى ، مـن تلك السجائر قوية الرائحـة ، فغمغمت ( زوشـا ) ، وهـى تعقـد سـاعديها المفتوليـن أمـام صدرها :

ـ توجد سيجارة مشتعلة فى المنفضة .

مدّ يده فى لامبالاة ، فأطفأ السيجارة القديمة ، وهو يقول فى خشونة :

ـ ربمـا نسيتها ؛ لأنها فى المنفضـة السخيفة ، التى تصرّين على وضعها هنا .

انفرجت شفتاها لتقول شيئًا ، إلا أنها لم تلبث أن أطبقتهما فى صمت ، فى حين أشار هو إلى الجنرال ، قائلاً :

ـ سمعت أنكم تحتفظون بكمية ضخمة من مخزون غاز الأعصاب القديم .. أهذا صحيح ؟!

أومأ (فاسيلوف) برأسه إيجابًا ، وقال فى استسلام :

ـ أضخم مما تتصورُ .

تألقت عينا ( يورى ) ، وهو يقول :

ـ عظيم .. أعتقد أنه هناك صفقات ضخمة سنعقدها معًا يا جنرال .. صفقات ستتيح لك الانتقال إلى عالم المليونيرات ورجال الأعمال الكبار فى الغرب .

بدا الجنرال منفعلاً ، وهو يغمغم :

ـ أنا رهن إشارتك يا سيِّد ( يورى ) .

عقدت (زوشا) حاجبيها ، ومطَّت شفتيها الكبيرتين فى استنكار ، وهى تتابع حديثهما ، الذى أعقب هذا ،



وكل ذرة فى كيانها تصرّ على أن حلم ( يورى إيفانوفيتش ) مجردُ وهم ، غير قابل للتحقيق ..

لذا فقد أدهشها بشدة تجاوب جنرال محنك ، مثل (فاسيلوف) مع الفكرة ، بل وحماسته الكبيرة لها ، مما جعلها تعيد حساباتها وتتساءل : أمن الممكن أن ينجح شخص ما فى السيطرة على العالم يومًا بالفعل ؟!

كررت السؤال فى أعماقها ألف مرة ، دون أن تقتنع بجواب واحد له ، حتى نهض الجنرال بنفس الحماسة ، وهو يقول :

ـ رائع ياسيِّد (يورى) .. أنت عبقرى بحق .. يمكنك أن تعتبرنى منذ هذه اللحظة جنرالاً فى جيشك .

ثم غمز بعينه ، مستطردًا بابتسامة جشعة :

ـ أو وزيرًا فى نظامك العالمى القادم .

ابتسم (يورى) ، وألقى سيجارته فى ركن الحجرة ، وهو يقول فى برود :

ـ بالتأكيد يا جنرال .. بالتأكيد .

مدّ الجنرال يده ليصافحه في حماسة ، ولكن (يورى) تجاهل اليد الممدودة إليه مرة أخرى ، وهو يدير عينيه إلى ( زوشا ) ، قائلاً :

ـ أوصلى الجنرال للخارج .

استعاد الجنرال يده دون أن يغضب هذه المرة ، ثم رفع يده بتحية عسكرية ، قائلاً :

ـ تحياتى يا سيد (يورى) ..

قال (يورى) بنفس البرود ، وهو يتراجع فى مقعده بغرور :

ـ الزعيم يا جنرال .. مادمت ستعمل معى ، فستخاطبنى منذ هذه اللحظة بلقب الزعيم .

ابتسم الجنرال ، وهو يقول :

ـ تحياتى أيها الزعيم .

رافقته (زوشا) إلى الخارج ، ثم عادت إلى (يورى) قائلة :



ـ هل سننصرف الآن ؟!

أجابها ، وهو ينهض ملتقطاً معطفه السميك الأنيق :

ـ بالتأكيد .. أنت تعرفين سياستى .. لا مقر ثابت ، أو مواعيد منتظمة ..

وارتدى معطفه ، وهو يتجه إلى تلك الفتحة السرية ، مضيفاً فى شيء من السخرية :

ـ (إيفان) الغبى كان يزهو بقصره المنيف ، دون أن يدرك أن وجوده فى مكان معروف يجعل اصطياده ممكناً ، مهما اتخذ من أساليب الحيطة والحذر .

هزّت كتفيها دون تعليق ، وسارت إلى جواره حتى بلغا سيارته ، ثم غمغمت ، وهى تحتلّ مقعد السائق :

ـ رجال ( كواليسكى ) أنهوا عملية المصريين .

ابتسم فى سخرية ، وهو يجلس إلى جوارها :

ـ وكيف ؟!

أجابته فى سرعة :

ـ ألم تسمع صوت انفجار سيارة الأمن ، التى فروا بها ؟!

هزَّ كتفيه ، وهى تنطلق بالسيارة ، وقال :

ـ سمعت صوت انفجار ، ولكننى لم أسمع خبر مصرع المصريين .

قالت فى حزم :

ـ لقد كانوا داخل السيارة .. (كواليسكى) قال : إن رجاله أكدوا هذا قبل نسف السيارة .

هزَّ كتفيه ، قائلاً :

ـ هل تصدقين هذا ؟!

التفتت إليه فى حدة ، قائلة :

ـ وما الذى تصدقه أنت ؟!

غاص فى مقعده ، وابتسم ابتسامة غامضة ، لم تلبث أن تحولت إلى ضحكة عالية مجلجلة ، شقت



سكون الليل ، فى شوارع (موسكو) ، التى ينهمر عليها الجليد فى غزارة ..

ضحكة شيطان ..

واثق .

* * *



## ٢ ـ السبق ..

« يبدو أن الأمر لم ينته بعد كما تتصورُ .. »

هتف مدير المخابرات الروسية بالعبارة فى انفعال ، وهو يقتحم حجرة الجنرال ( كواليسكى ) ، ملوِّحًا بتقرير عاجل فى يده ، فهبَّ ( كواليسكى ) واقفًا ، وهو يقول فى توتر :

ـ عم تتحدَّث بالضبط يا سيِّدى ؟!

صاح به المدير فى غضب :

ـ ثلاثة لصوص .

قال ( كواليسكى ) فى عصبية حذرة :

ـ ثلاثة ماذا ؟!

صاح المدير ، وهو يلوِّح فى وجهه بالتقرير مرة أخرى :



ـ تقرير الطب الشرعى العاجل ، الخاص بفحصِ أشلاء قتلى سيارة الأمن ، التى نسفها رجالك ، يؤكد أنهم كانوا ثلاثة لصوص مسجلين ، كما أكدت بصماتهم وبقاياهم .

اتسعت عينا ( كواليسكى ) عن آخرهما ، وهو يهتف فى ذهول مذعور :

ـ لصوص ؟! مجرَّد لصوص ؟!

هتف المدير فى غضب :

ـ نعم .. سيارة تُرِكَتْ مفتوحة ، فى شارع مظلم .. من الطبيعى ، فى ظروفنا هذه ، أن تجذب إليها قبيلة من اللصوص .

ردَّد ( كواليسكى ) فى انفعال جارف :

ـ لصوص ؟! كل ما ظفرنا به مجرَّد لصوص ؟!

لوَّح المدير بالتقرير فى عصبية ، وهو يقول :

ـ هذا يعنى أنهم ما زالوا على قيد الحياة ، فى قلب ( موسكو ) .

انعقد حاجبا ( كواليسكى ) ، وارتسم بغض وغضب الدنيا كله على ملامحه ، والمدير يتابع فى توتر جارف :

- لست أدرى ما إذا كان هذا خيرًا أم ..

قاطعه ( كواليسكى ) فى حدة :

- بل شر يا سيدى .. شر رهيب .

رمقه المدير بنظرة نارية ، وهو يقول :

- تتحدث كما لو أنه أمر شخصى .

هتف ( كواليسكى ) :

- بل هو أخطر من هذا يا سيدى .. إنه أمر يهدد أمن ( روسيا ) كلها ، وهذا يعنى حتمية أن نتحرك بمنتهى السرعة ، ومنتهى الحزم معًا .. يكفينا ما أضعناه من وقت ثمين ، كنا نتصور خلاله أننا قد ظفرنا بهم ، ولا أحد يدرى كيف أفادهم كل هذا الوقت .



رمقه المدير بنظرة أخرى ، وهو يقول :

- كان بإمكانهم أن يستولوا على الطائرة المعدة لترحيلهم ، ولكنهم حتى لم يحاولوا هذا .

هتف ( كواليسكى ) فى انفعال :

- هذا يعنى أنهم يخططون لما هو أبعد من ذلك .

سأله المدير فى اهتمام متوتر :

- مثل ماذا ؟!

أشار ( كواليسكى ) بيده ، قائلاً :

- دع خبراءنا يدرسون هذا يا سيدى .. المهم ألا نضيع ثانية إضافية أخرى .. فلنعلن حالة الطوارئ القصوى ، ولنقم بتوزيع ونشر صورهم وبياناتهم فى كل مكان ، وبكل الوسائل الممكنة أولاً .

انعقد حاجبا المدير ، وهو يفكر فى هذه الخطوة الخطيرة ، قبل أن يحسم أمره ، قائلاً فى صرامة :

- فليكن .. هذا يبدو لى الأسلوب الأمثل ، فى ظل هذه الظروف ثم رفع سبابته بحركة حادة ، مستطردًا :

- ولكن بشرط واحد .

سأله (كواليسكى) فى عصبية :

- أى شرط ؟!

أجابه فى حزم صارم :

- أن يتم الظفر بهم أحياء ، بكل الوسائل الممكنة أولاً .

صمت ( كواليسكى ) لحظة ، قبل أن يقول :

- هذا يبدو لى منطقيًا .

ولكن ما إن غادر مدير المخابرات الروسية مكتبه ، حتى غمغم فى صرامة شديدة العصبية ، وغزيرة الانفعال :

- محال .

والتقط هاتفه المحمول ، وضغط أزراره فى سرعة ، ولم يكد يسمع صوت محدثه ، حتى قال فى سرعة متوترة :



- (ليبروسكى) .. إنه أنا .. (كواليسكي) .. المصريون مازالوا على قيد الحياة .. نعم .. لقد تأكدت من هذا .. المدير سيعلن حالة الطوارئ القصوى ، ولكنه يصر على الظفر بهم أحياء .

وانعقد حاجباه ، وهو يضيف فى صرامة :

- وهذا يتعارض مع مصالحنا بالتأكيد .

ثم ازداد انعقاد حاجبيه ، واكتسى صوته بشراسة مخيفة ، وهو يتابع بلهجة آمرة :

- أريد منك أن تتولى الأمر بنفسك يا (ليبروسكى) .. لاتمنحهم فرصة واحدة للحياة .. أريد أن تسحق هؤلاء المصريين فور العثور عليهم .. هل تفهم ؟! أريد أن تسحقهم سحقًا .. وبلا رحمة !

وكان هذا إيذانًا ببدء الجولة الجديدة ..

الجولة الوحشية ..

جدًا ..

* * *

رفع ضابط الشرطة الروسى يده بصرامة شديدة ، يستوقف تلك السيارة الحمراء روسية الصنع ، أمام الحاجز المعدنى ، الذى يسدّ الطريق ، ثم اتجه بمدفعه الآلى نحوها ، وانحنى يقول لقائدها فى لهجة خشنة قاسية :

- أوراقك .

ناوله قائد السيارة أوراقه ، وهو يسأله فى قلق ، بدا طبيعيًا ، فى ظلّ هذه الظروف :

- ماذا هناك أيها الضابط ؟!

أجابه الضابط فى صرامة مقتضبة ، وهو يراجع الأوراق بمنتهى الدقة :

- إجراءات أمن .

لم يكن الجواب يحمل أية دلالات منطقية ، إلا أن قائد السيارة اكتفى به ، دون أن يحاول إلقاء سؤال آخر ، فى حين سأله الضابط بنفس الصرامة الجافة الخشنة :



- ما الذى أخرجك فى هذه الساعة ، وفى مثل هذا الطقس ؟!

سأله قائد السيارة فى قلق :

- هل تم إعلان حظر تجوال ، أم ..

قاطعه الضابط فى حدة صارمة :

- أجب فحسب .

أجابه الرجل فى توتر ملحوظ :

- أنا طبيب كما رأيت ، وعملنا لا يعترف بالزمن أو ظروف الطقس ، أو ...

قاطعه الضابط مرة أخرى ، فى ضجر عصبى ، وهو يعيد إليه أوراقه ، ويشير إلى الآخرين لرفع حاجز الطريق ، قائلاً :

- اذهب .

انطلق الرجل بالسيارة الصغيرة ، متجاوزًا الحاجز ، ولم يكد يبتعد عنه ، حتى غمغم بالعربية ، وبلهجة مصرية خالصة :



ومع آخر طرقة ، انفتح باب الشقة ، وظهر على عتبته ( أدهم ) ، فى ذروة نشاطه وحيويته ..

ـ رباه ! من الواضح أن الموقف مشتعل للغاية ! إنه ثالث حاجز طريق حتى الآن .

انحرف بالسيارة إلى حى راق نسبيًا ، وتجاوز المبانى الثلاثة الأولى ، ثم توقف أمام المبنى الرابع ، وغادر السيارة ، حاملاً حقيبتين كبيرتين ، وصعد إلى الطابق الثالث ، ثم طرق باب الشقة الوسطى ثلاث طرقات متتالية سريعة ، ثم طرقة واحدة ، أعقبها بثلاث طرقات أخرى ..

ومع آخر طرقة ، انفتح باب الشقة ، وظهر على عتبته ( أدهم ) ، فى ذروة نشاطه وحيويته ، وهو يبتسم ، قائلاً بالروسية :

ـ مرحبًا ياصديقى .. مرّت فترة طويلة ، منذ التقينا آخر مرة .

ألقى ( أسعد ) الحقيبتين داخل المنزل ، وصافح ( أدهم ) فى حرارة ، هاتفًا :

ـ سيادة العميد .. لايمكنك أن تتصورُ ..

قاطعه ( أدهم ) ، وهو يضع سبابته على شفتيه محذرًا ، ويغلق الباب خلفه ، قائلاً :

ـ بالروسية يا صديقى .. تحدث دومًا بالروسية ، التى تجيدها كأهلها ، فكلمة عربية واحدة ، تلتقطها أذنا جار فضولى ، كفيلة بكشف أمرنا جميعًا .

ابتسم ( أسعد ) وهو يقول :

ـ معذرة يا سيادة العميد .. لقد أسعدتنى رؤيتك سالمًا للغاية ، ثم إننى لم أكن أتصوّر قط أنك ما زلت تذكر عنوان وموقع هذا المنزل الآمن ، فى قلب ( موسكو ) .

قال ( أدهم ) فى هدوء :

ـ إننى أحفظ عنوان كل منزل آمن ، فى ( روسيا ) كلها ، عن ظهر قلب .

سأله ( أسعد ) فى اهتمام :

ـ ولكنك لم تكن تحمل مفتاح هذه الشقة .



ابتسم ( أدهم ) ، قائلاً :

ـ لم تكن هذه مشكلة .

تساءل ( أسعد ) :

ـ وماذا عن وسيلة الانتقال ؟!

ضحكت ( منى ) قائلة :

ـ لم تكن مشكلة أيضًا .

وسأله ( أدهم ) فى اهتمام كبير :

ـ هل أحضرت كل ما طلبته منك ؟!

أومأ برأسه إيجابًا ، وقال :

ـ كل شىء .. وبالذات ما يخصّ السيّد ( قدرى ) ، فأصابعه الذهبية كان لها الفضل ، بعد الله ( سبحانه وتعالى ) ، فى وصولى إلى هنا سالمًا ، فالهوية الروسية التى صنعها لى فى العام الماضى ، أقنعت رجال الشرطة فى ثلاثة أكمنة مختلفة ، فى ظل حالة طوارئ قصوى .

هزّ ( قدرى ) كتفيه فى خجل ، مغمغمًا :

- إنه عملى .

ابتسم الكل إعجابًا بعبقريته وتواضعه ، فى حين قال ( أدهم ) فى اهتمام :

- إذن فقد أعلنوا حالة الطوارئ القصوى بالفعل :

أومأ ( أسعد ) برأسه إيجابًا ، وقال :

- من الواضح أنكم تثيرون جنون ( روسيا ) كلها ، وليس ( موسكو ) وحدها ، فالكل يبحث عنكم بمنتهى الشراسة ، وصوركم وأوصافكم تذاع كل ربع ساعة ، فى كل محطات التليفزيون .

هزّت ( ريهام ) كتفيها بلا مبالاة ، قائلة :

- هذا لن يخيفنا .

أشار إليها ( أدهم ) ، قائلاً فى حزم :

- أهم ما يجب أن تتعلميه ، فى عالمنا هذا ، هو ضرورة ألاّ تهوّنى من شأن الخصم أو الموقف ، حتى



يمكنك التعامل معه بأسلوب صحيح وسليم .. وفى موقفنا هذا نواجه دولة كاملة ، بكل من فيها .. نواجه قنواتها الرسمية ، بكل إمكانياتها ، وسلطاتها ، وقدرتها على الانتشار ، وتغطية كل الجوانب بإحكام ، ونواجه فى الوقت ذاته منظمة ( المافيا ) الروسية ، أقوى منظمة إجرامية ، فى زمننا هذا ، بكل عنفها ، وشراستها ، ووحشيتها ، وتغلغلها فى المجتمع الروسى حتى النخاع ، وهذا يعنى أننا محاصرون بين المطرقة والسندان ، وهذا يستلزم كل قوتنا وطاقاتنا وقدراتنا ، فقط للخروج من المأزق ، أما الانتصار فيه ، فهو يبدو أشبه بالمستحيل !

غمغم ( قدرى ) بابتسامة حانية :

- هذا يعنى أنه من صميم اختصاصك إذن .

هزّ ( أدهم ) رأسه ، قائلاً فى صرامة :

- المهم أن يجيد كل منا دوره .. وإلى أقصى حد .

هتف ( شريف ) فى حماسة :

- كلنا رهن إشارتك يا سيِّدى .

أدار ( أدهم ) عينيه فيهم فى صمت ، وكأنما يعيد دراسة الموقف كله مرة أخرى ، قبل أن يقول ( أسعد ) فى اهتمام قلق :

- لماذا لا نطلب من ( القاهرة ) تدبير عملية خاصة ، لإخراجكم من هنا ، وإعادتكم إلى الوطن ؟!

ابتسم ( أدهم ) ابتسامة باهتة ، وهو يقول :

- فى ظروف كهذه ، سيحتاج إخراجنا من هنا إلى عملية عسكرية كبرى ياصديقى .

ثم تلاشت ابتسامته ، وهو يضيف فى اهتمام :

- ولكن يمكننا أن ندبر عملية إخراج شقيقى الدكتور ( أحمد ) و ...

قاطعه الدكتور ( أحمد ) فى صرامة :

- مستحيل !

استدار إليه ( أدهم ) ، قائلاً :



- ( أحمد ) .. أنت مدنى ، وما ينتظرنا ليس ..

قاطعه مرة أخرى ، فى صرامة أكثر :

- قلت : ( كلا ) ..

ثم استطرد فى انفعال ، يحمل الكثير من العزم والإصرار :

- هل نسيت أن جسدك معرَّض للانهيار فى أية لحظة ؟! إنك لم تستعد وعيك ونشاطك بأسلوب طبيعى يا ( أدهم ) ، والخطر الطبى مازال يحيق بك ، ووجودى هنا قد يكون خط دفاعك الأخير فى أية دقيقة .

هزّ ( أدهم ) رأسه ، قائلاً :

- اسمعنى جيدًا ..

هتف الدكتور ( أحمد ) ، بكل إصرار وعناد الدنيا :

- كلاَّ يا ( أدهم ) .. لن أرحل دونكم .

ارتفع حاجبا ( قدرى ) فى تأثُّر ، وهو يقول :

- كنت أظنهما مختلفين .

قالت ( منى ) فى سرعة :

ـ فى المهنة فحسب .

وفى صمت ، تبادل ( علاء ) و( شريف ) و( ريهام ) نظرة تحمل إعجابهم وانبهارهم ..

أما ( أدهم ) وشقيقه ، فقد تطلّع كل منهما إلى عينى الآخر بضع لحظات ، تبادلت العيون خلالها حوارًا أبلغ من كل كلمات الدنيا ، قبل أن يبعد ( أدهم ) عينيه ، قائلاً فى حزم :

ـ على بركة الله .

وكان هذا أشبه بناقوس بدء الجولة الأولى من المغامرة ..

المغامرة الكبرى ..

* * *

بدا القلق الشديد على وجه مدير المخابرات العامة المصرية ، وهو يراجع ، للمرة الثالثة ، ذلك التقرير



العاجل ، الوارد من ( موسكو ) ، قبل أن يضعه على مكتبه ، قائلاً لمساعده الأوّل فى توتر :

ـ هذا الأمر خطير للغاية .. الموقف متدهور فى ( موسكو ) إلى أقصى حد ، حتى إن الروس يرفضون أية محاولات دبلوماسية لتهدئة الموقف ، ويصرّون على أن رجالنا قد تجاوزوا كل الحدود ، وحاولوا اغتيال أحد ضباط مخابراتهم .

سأله مساعده الأوّل فى قلق :

ـ وماذا سنفعل إزاء هذا ؟!

تنهّد المدير ، قائلاً :

ـ ( ن ـ ١ ) يرى أن الموقف معقّد ، حتى إنه من الأفضل ألا نتدخل بصفة رسمية ، أو حتى غير رسمية ، ويقول : إن واجبهم أن يتولوا الأمر بأنفسهم .

هتف مساعده :

ـ وكيف ؟!

هزَّ المدير رأسه ، قائلاً فى حزم :

- لايمكنه أن يورد التفاصيل ، فى برقية عاجلة كهذه .

وصمت لحظة ، قبل أن يميل إلى الأمام ، مكملاً بلهجة واثقة حاسمة :

- ولكن من المؤكَّد أنه سيدير الأمر بعبقرية مبهرة كعادته .

تساءل المساعد فى اهتمام :

- هل تعتقد أنه من الممكن أن ..

قاطعه المدير بإشارة من يده ، وهو يقول :

- مع (ن - ١) ، لايمكنك أن تتوقَّع الخطوة القادمة أبدًا .

هزَّ المساعد كتفيه ، قائلاً :

- ربما .. ولكن فى موقف معقَّد كهذا ، هناك حدود للحركة حتمًا .



ابتسم المدير وتراجع فى مقعده مغمغمًا :

- ليس مع ( أدهم صبرى ) .

تساءل المساعد :

- وعندما تذاع أوصافه وصوره ، وتطارده دولة بأكملها ، فى كل ركن وكل شبر ، هل يمكن أن يجد وسيلة لتوجيه ضربة مباشرة ، أو القيام بخطوة حاسمة .

أجاب المدير فى سرعة :

- بالتأكيد .

ارتفع حاجبا مساعده فى دهشة ، فمال إلى الأمام ، مستطردًا فى حزم :

- عندما تتجاوز كل حدود العقل والمنطق ، وتضرب حيث لا يمكن أن يتوقَّعك أحد .

تساءل المساعد فى حيرة :

- مثل ماذا ؟!

عاد المدير يتراجع وهو يقول :

ـ لقد قلتها لك من قبل : مع ( ن ـ ١ ) .. لايمكنك أن تتوقَّع الخطوة القادمة ..

وصمت لحظة ، قبل أن يضيف بكل حزم وحسم وثقة الدنيا :

ـ أبدًا .

والعجيب أنه كان على حق فى هذا ..

على حق تمامًا ..

فالخطوة التى أقدم عليها ( أدهم ) ، لم يكن من الممكن توقُّعها ..

أبدًا ..

* * *

( صباح جديد ) اسم واحد من أهم وأشهر برامج التليفزيون ، التى تحرص ( روسيا ) كلها على مشاهدتها كل صباح ؛ فهو يقدِّم للمواطن العادى كل ما يحتاج إليه ليبدأ يومه الجديد ..



أحوال الطقس .. حالة الطرق .. الوضع الأمنى والاقتصادى .. آخر الأخبار ..

كل شىء تقريبًا ..

ومع الشهرة الواسعة ، التى حازها البرنامج ، تألَّقت مقدِّمته ( ناديا فيدروفيتش ) ، حتى صارت تنافس نجمات السينما والمجتمع ، بلباقتها ، وجمالها ، وحرصها الدائم على تقديم كل جديد ومثير ..

الشىء الوحيد الذى كان يرهق ( ناديا ) ، بالنسبة لبرنامجها الشهير ، هو أنه يذاع على الهواء مباشرة ، فى السابعة صباحًا ، مما يضطرها للاستيقاظ يوميًّا فى الخامسة ، حتى يمكنها إعداد زينتها ، وموضوعاتها ، والظهور بشكل لائق وابتسامة ساحرة ، وهى تواجه جمهورها العريض جدًّا كل صباح ..

وفى ذلك الصباح ، ارتفع رنين المنبه المجاور لفراشها ، فى تمام الخامسة كالمعتاد ، فمدَّت يدها توقف رنينه ، وهى تغمغم فى كسل محنق :

ـ ربَّاه ! لقد بدأ عذاب يوم جديد .

كانت تهمّ بالتثاؤب ، عندما سمعت صوتًا داخل حجرة نومها ، يقول فى هدوء شديد ، وبلغة روسية سليمة جدًا :

- عجبًا ! كنت أتصوّرك تستمتعين بما تقدمينه كل صباح !

أطلقت صرخة ذعر ، وهى تقفز من فراشها فى رعب ، واتسعت عيناها عن آخرهما فى ارتياع ، وهى تحدّق فى رجل أشيب الشعر ، كث الشارب ، أزرق العينين ، متغضن الوجه ، يجلس فى نهاية الحجرة ، على مقعدها الوثير المفضّل ، ويتطلع إليها فى هدوء شديد ، ثم قفزت يدها نحو درج الوحدة المجاورة لفراشها بحركة آلية ، ففرد الأشيب يده ، قائلاً بنفس الهدوء :

- هل تبحثين عن هذا ؟!

كاد قلبها يتوقّف رعبًا ، وهى تحدّق فى مسدسها الصغير ، المستقر فى راحته ، قبل أن تصرخ :

- من أنت ؟! وكيف دخلت إلى هنا ؟!



تجاهل الأشيب سؤاليها تمامًا ، وهو يسألها بهدوئه المثير ، وكأنما من الطبيعى أن يتواجد فى حجرة نومها هكذا :

- هل ترغبين فى الفوز بسبق إعلامى خطير ؟!

عادت تهتف فى رعب :

- من أنت ؟!

مال إلى الأمام ، واكتسب صوته رنة صارمة ، وهو يكرّر :

- هل ترغبين فى هذا ؟!

راودتها فكرة الصراخ على نحو مستمر ، كوسيلة لجلب أى نوع من النجدة ، إلا أن طبيعتها الإعلامية ، مع فضولها الأنثوى المضاعف ، جعلاها تقول فى عصبية :

- أى سبق هذا ؟!

قال بلهجة توحى بأهمية ما لديه :

ـ لقاء على الهواء مباشرة ، مع شخص لا يمكن أن يتصورْ مخلوق واحد أن يراه الآن ، على شاشة التليفزيون ، فى لقاء مفتوح .

جذبت الغطاء على جسدها ، وهى تسأله فى فضول أكثر ، تلاشى نصف ما يحويه من خوف :

ـ أى شخص هذا ؟!

ارتسمت على شفتيه ابتسامة أقلقتها ، وهو يجيب :

ـ الشخص الذى تعلن كل وسائل الإعلام صورته ومواصفاته ، على رأس فريق من مواطنيه ، منذ مساء أمس .

كادت تقفز من فراشها انفعالاً ، وهى تهتف :

ـ المصرى ؟!

تراجع فى مقعده باسترخاء ، مجيبًا :

ـ بالضبط .

هتفت :



ـ ولكن هذا مستحيل ! أعنى كيف سيمكننى إجراء مقابلة على الهواء مباشرة معه ، وكل رجل شرطة فى ( موسكو ) كلها يبحث عنه ؟! وأين يمكن أن ألتقى به ، فى ظلّ هذه الظروف ؟!

هزّ كتفيه فى لامبالاة ، قائلاً :

ـ ما رأيك فى ستوديوهات التليفزيون الخارجية ، فى ضاحية ( لينين ) ؟!

حدّقت فى وجهه بضع لحظات ، فى دهشة مستنكرة ، ثم لم تلبث أن قالت فى عصبية :

ـ أنت تسخر منى .. أليس كذلك ؟!

سألها فى هدوء شديد :

ـ ولماذا أفعل ؟!

قالت فى حدة :

ـ لست أدرى لماذا تفعلها ، ولكننى واثقة من استحالة قدومه إلى ضاحية كهذه فى وضح النهار ، وكل أمن ( موسكو ) يبحث عنه وعن رفاقه بهذه الشراسة .

ارتسمت على شفتيه ابتسامة ساخرة هذه المرة ، وهو يجيب :

- مشكلتكم هنا أنكم رسميون أكثر مما ينبغى ، وهذا يجعلكم ميالين لتصديق كل الرسميات .

سألته فى حيرة حذرة :

- ماذا تعنى ؟!

عاد يميل نحوها ، قائلاً :

- أعنى أن كل ما يحتاج إليه المرء هنا ، ليتجاوز كل العقبات ، مجردُ هوية رسمية .. أو تشبه الرسمية على الأقل ، إلى الحد الكافى لخداع الرسميين .

انعقد حاجباها ، وهى تقول فى عصبية :

- لم أفهم بعد .

تراجع مرة أخرى فى مقعده ، قائلاً فى حزم :

- فليكن .. ليس هناك وقت نضيعه .. لابد أن تحسمى أمرك ، وتتخذى قرارك فورًا .. هل تريدين هذه المقابلة أم لا ؟!



هتفت :

- لا ؟! إننى مستعدة لدفع نصف حياتى ثمنًا لها يا رجل .

ثم استدركت فى حذر شديد :

- لو أنها حقيقية .

نهض من مقعده ، قائلاً بنفس الابتسامة المقلقة :

- إنها كذلك .

ثم تابع بلهجة آمرة ، توحى بأنه رجل لم يعتد إلا طاعة الآخرين لأوامره :

- أجر اتصالك بمساعديك ، واجعليهم يعدّون الاستديوهات للبث المباشر ، فى تمام السابعة ، بحيث نبدأ فور وصولنا ، ولا تخبريهم بهوية الضيف .

كانت ترغب فى الاعتراض ، لإثبات استقلاليتها ، إلا أنها وجدت نفسها تجيب فى طاعة واستسلام عجيبين :

- سأفعل .

ثم استعادت عنادها فجأة ، لتقول فى حدة :

ـ ولكن لماذا ؟!

استدار إليها بعينين متسائلتين ، فتابعت بنفس الحدة :

ـ لماذا يسعى مثله لإجراء مقابلة تليفزيونية كهذه ؟! بم يمكن أن يفيده هذا ؟!

لم ترق لها أبدًا تلك النظرة الجذلة فى عينيه ، ولا الابتسامة الساخرة ، التى زيّنت شفتيه ، وهو يجيب :

ـ ربما لأنه يريد أن يربك الكل بضربة واحدة .. أو لأنه يؤمن بأنه عندما تتعقّد الأمور ، فإن الهجوم يكون دومًا هو خير وسيلة للدفاع .. أو لفكرة مجنونة راودته ، بأن يجعل الشعب الروسى كله طرفًا فى اللعبة .

ثم اتسعت ابتسامته ، وهو يضيف بلهجة أكثر غموضًا من كل ما يحويه الكون من ألغاز وخبايا :

ـ ولكن من المؤكّد أن لديه أسبابه .



قالها ، وغادر الحجرة ، ليمنحها فرصة إبدال ثيابها ، وإعداد زينتها المعتادة ، وحدّقت هى فى الباب الذى أغلقه خلفه فى انبهار ، ثم لم تلبث أن نهضت لتجرى اتصالاتها بمساعديها ، لإعداد كل شىء ، فى ستديوهات الضواحى ، وعقلها يدير الأمر كله مرة أخرى ، ويقلبه على كل الوجوه ..

كان سبقًا إعلاميًا مذهلاً بكل المقاييس ، ولكن السؤال الذى ما زال يلحّ على رأسها فى قوة هو لماذا ؟!

لماذا يسعى لهذه الخطوة العجيبة ؟!

لماذا ؟!

لماذا ؟!

ولكن السؤال ظلّ حائرًا فى كيانها كله ، معربدًا فى كل خلية من خلايا مخها الرمادية ، دون هوادة .

ودون جواب منطقى شاف ..

على الإطلاق .

* * *

# ٣ ـ المفاجأة ..

لم تكن ساعات النوم القليلة ، التى قضتها (زوشا)، رفيقة (يورى إيفانوفيتش) ، وحارسته الخاصة مريحة على الإطلاق ، ولاكافية لتسترد عافيتها وصفاء ذهنها ، فقد حملت إليها عشرات الكوابيس والأحلام المزعجة ، إلى الحد الذى جعلها تفتح عينيها ، مغمغمة فى إرهاق عجيب ، وكأنما قضت كل الوقت فى تدريب شاق عنيف :

ـ يا للسخافة !

تسللت إلى أنفها رائحة نفاذة ، جعلتها تلتفت إلى (يورى) ، الذى يدخن سيجارته القصيرة ، على المقعد الكبير المجاور للفراش ، وتغمغم فى ضيق :

ـ هل استيقظت مبكرًا ؟!

أجابها فى برود ، وهو يراقب شاشة التليفزيون :



ـ إننى لم أنم بعد .

تثاءبت فى إرهاق ، وهى تنهض من فراشها ، وتلتقط ثوبها ، قائلة ، فى شىء من الحدة :

ـ كل البشر فى حاجة إلى النوم والراحة .

تجاهل قولها تمامًا ، وهو يقول فى صرامة :

ـ أريد القهوة بدون سكر .

كان أكثر مايحنقها ، منذ ارتبطت به هو تعامله معها بهذا التعالى البارد ، وكأنها خادمة من الدرجة الثالثة ، إلا أنها كانت تدرك كم سيغضبه رفضها ، لذا فقد غمغمت فى توتر :

ـ فليكن .

واصل هو تدخين سيجارته ذات الرائحة المزعجة ، وهو يتابع شاشة التليفزيون ، التى ظهرت عليها (ناديا فيدروفيتش) ، جميلة فاتنة كعادتها ، وهى تقول كلماتها الافتتاحية التقليدية :

ـ صباح جديد يا (روسيا) .. صباح مفعم بالحب والأمل والحياة ..

صباح يحمل كل خبر ، وكل معلومة ، وكل جديد ..

ثم تألقت عيناها فى حماسة ، وهى تضيف :

ـ واليوم بالذات ، يحمل أيضًا مفاجأة .

ابتسم ( يورى ) فى سخرية ، مغمغمًا :

ـ أية مفاجأة .. هل ستعلن عن انخفاض سعر صرف الدولار الأمريكى ؟!

سألته (زوشا) فى روتينية ، وهى تعدّ قهوته :

ـ وهل انخفض بالفعل ؟!

تجاهل تساؤلها الساذج كالمعتاد ، وهو يتابع (ناديا) باهتمام ، مع استطرادتها بلهجة خاصة :

ـ اليوم ، يستضيف برنامج (صباح جديد) شخصية غير متوقعة على الإطلاق ، على الرغم من أنها تحظى بأكبر قدر من الاهتمام ، منذ مساء أمس .



لم يكد ( يورى ) يسمع هذا التقديم ، حتى انعقد حاجباه فى شدة ، وسرت فى جسده كله موجة من التوتر ، واعتدل فى مقعده بحركة حادة ، مغمغمًا فى عصبية :

ـ لا .. لست أعتقد هذا .

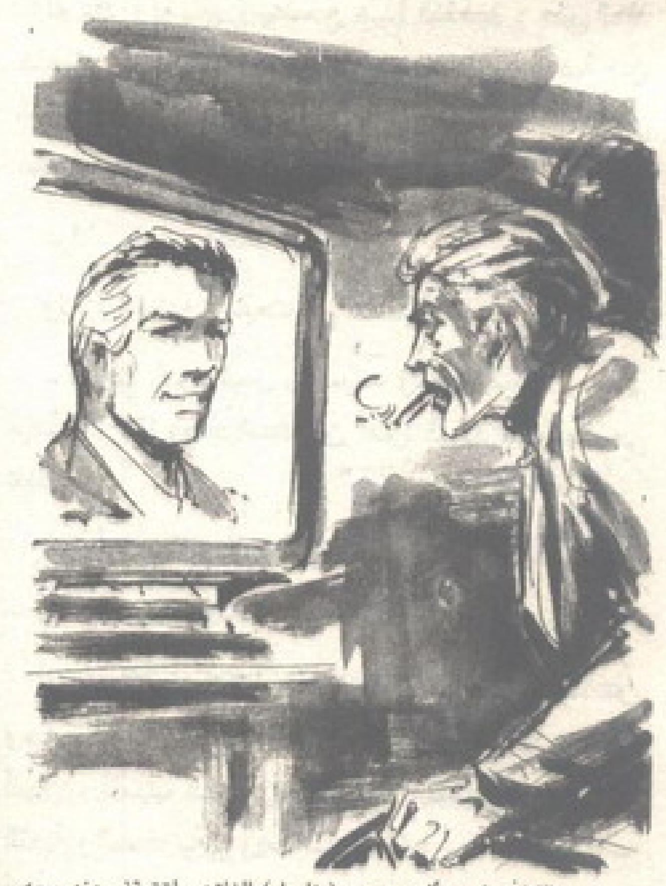
ولكن ( ناديا ) تابعت فى حماسة :

ـ ضيفنا اليوم ليس روسيًا ، وليس ضيفًا رسميًا أيضًا .. بل وسيدهشكم أن أمن البلاد كله يسعى خلفه .

حملت (زوشا) قدح القهوة إلى (يورى) متسائلة :

ـ أى ضيف هذا ؟!

لم تكد تتمّ تساؤلها ، حتي دارت الكاميرا بعيدًا عن وجه ( ناديا ) الفاتن ، لتتوقّف عن وجه رجل وسيم أنيق ، أشيب الفودين ، يبتسم ابتسامة تجمع بين الثقة والسخرية ، وصوت ( ناديا ) يكمل بحماسة أكبر :



دارت الكاميرا بعيدًا عن وجه ( ناديا ) الفاتن ، لتتوقف عند وجه رجل وسيم أنيق ..

ـ ضيفنا اليوم هو المصرى ( أدهم صبرى ) .

قفز ( بورى ) من مقعده ، صائحًا :

ـ مستحيل !

ارتطم مع قفزته بحارسته ( زوشا ) ، فطار قدح القهوة الساخن من يدها ، وتناثر بعضه على وجهها وصدرها ، وذراعيها ، فصرخت فى غضب :

ـ ماذا تفعل ؟!

صرخ بها فى ثورة هادرة ، وبعينين اشتعل فيهما كل غضب الدنيا :

ـ اصمتى .

كانت آثار القهوة الساخنة تؤلمها ، إلا أن لهجته وثورته جعلاها تدرك أن الصمت هو أفضل ما ينبغى أن تلوذ به ، خاصة وهى تحدّق مثله فى وجه ( أدهم ) على الشاشة ، وصوت ( ناديا ) يسأله فى اهتمام :

ـ سيّد ( أدهم ) .. هل تدرك كم المجازفة والمخاطرة ،

اللذين ينطوى عليهما ظهورك على الهواء مباشرة هكذا ، و(روسيا) كلها تسعى خلفك وخلف فريقك ؟!

ابتسم (أدهم) فى ثقة ، وهو يجيب بلغة روسية سليمة إلى حد مدهش :

ـ لقد اتخذنا كل الاحتياطات اللازمة ، حتى تنخفض احتمالات الخطر إلى أدنى حد ممكن ، ودرسنا كل نقطة بمنتهى الدقة ، حتى سرعة رد فعل السلطات لديكم ، والزمن الذى تستغرقه للقيام برد الفعل المناسب .

قالت فى دهشة :

ـ تبدو واثقًا من نفسك أكثر من اللازم !

هزّ رأسه نفيًا بهدوء ، وهو يجيب بنفس الابتسامة الواثقة :

ـ إننى أثق بمنظومة عمل فريقى كله .

انتقلت الكاميرا ، لتنقل الدهشة المرتسمة على وجهها ، قبل أن تتحوّل إلى شىء من الصرامة ، وهى تسأله :



ـ ولكن لماذا ياسيّد (أدهم) ؟! لماذا هذه المجازفة ؟!

لماذا سعيت إلىّ متنكرًا ، من أجل لقاء كهذا ؟! ما الذى تريد قوله بالضبط ؟!

مال ( أدهم ) إلى الأمام ، وامتلأ صوته وملامحه بالحزم والصرامة ، وهو يقول :

ـ ما أريده هو أن يعلم الكل حقيقة الموقف بالضبط .. فمن الناحية الرسمية ، تتهمنا أجهزة أمنكم بمحاولة اغتيال أحد ضباط مخابراتكم ، وبتجاوز قواعد الأمن المسموح بها ، ولكن الواقع أن هذا ما أراده البعض أن يبدو فحسب .

فى نفس اللحظة ، التى نطق فيها عبارته هذه ، اقتحم أحد رجال المخابرات الروسية حجرة مكتب الجنرال ( كواليسكى ) ، الذى لم يغادر المكان منذ أحداث الأمس ، وهتف به فى انزعاج شديد :

ـ سيّدى الجنرال .. افتح التلفاز .. سيذهلك ما يبثه برنامج ( صباح جديد ) ، على الهواء مباشرة .

أدرك (كواليسكى) على الفور ، مما فعله الرجل ، أن الأمر عاجل وخطير بحق ، فقفز إلى التلفاز الكبير فى مكتبه ، وأشعله ، و ...

« مستحيل ! »

انطلق الهتاف على الرغم منه ، من بين شفتيه ، وهو يحدّق ذاهلاً فى صورة (أدهم) على الشاشة ، وهذا الأخير يتابع بنفس الحزم والصرامة :

- الحقيقة التى لم يعلنها أحد ، والتى أثق بأنكم تدركونها جيدًا فى أعماقكم ، هى أن اللعبة كلها ملفقة ، بوساطة عملاء لمنظمة (المافيا) الإجرامية ، المتغلغلة فى أعماقكم ، والتى وجهنا إليها ضربة قاصمة ، منذ أسابيع قليلة .. محاولة انتقام مدروسة ، يعاونها عملاء لمنظمة ( المافيا ) داخل جهاز المخابرات الروسى نفسه .

امتقع وجه (كواليسكى) عند هذه النقطة ، واستدار إلى الرجل ، صارخًا فى غضب شديد العصبية :



- ماذا تنتظر ؟! هيا .. أبلغ شبكة التلفاز بإيقاف هذا البث السخيف فورًا ، واطلب من كل رجالنا فى المنطقة الانقضاض على هذا المصرى ، وإخراسه إلى الأبد .

ازدرد الرجل لعابه فى صعوبة ، وقال فى توتر :

- لقد حاولنا الاتصال بشبكة التلفاز بالفعل ، ولكن ..

قاطعه (كواليسكي) بصرخة هادرة ، وكل ذرة فى كيانه ترتجف انفعالا :

- ولكن ماذا ؟!

أجابه الرجل فى توتر أكثر :

- الاتصالات كلها مقطوعة بشبكة التلفاز الرئيسية .

كان ( أدهم ) يكمل ، فى هذه اللحظة :

- وعلى رأس هؤلاء العملاء الجنرال ( جوزيف كواليسكى ) شخصيًا .

احتقن وجه ( كواليسكى ) هذه المرة ، وهو يهتف فى غضب :

- لقد فعلها .. ذلك المصرى فعلها .

سألت ( ناديا ) ( أدهم ) ، فى هذه اللحظة ، بلهجة تحمل الكثير من الدهشة والاستنكار والغضب :

ـ هل تدرك أنك تتهم واحدًا من أشهر جنرالات ( روسيا ) ، وأكثرهم احترامًا ، دون دليل واحد ؟!

ابتسم ، قائلاً :

ـ هذا هدفنا الرئيسى .

وضاقت عيناه مع ابتسامته الساخرة ، وهو يضيف :

ـ أن نجد الدليل ، الذى يسحق مثله سحقًا .

هتف ( كواليسكى ) فى غضب :

ـ هل سنتركه يبث سمومه هذه فى كل مكان ؟! هل سنسمح له ببلبلة العقول بأكاذيبه هذه ؟!

قال الرجل فى توتر شديد للغاية :

ـ لقد حاولنا حتى الاتصال ببعض رجالنا ، عبر هواتفهم المحمولة ، ولكن الشبكة كلها لاتعمل لسبب مجهول .



عضّ ( كواليسكى ) شفتيه ، وهو يغمغم بغضب هادر :

ـ آه .. خبير الكمبيوتر فى فريقه ..

ثم اشتعلت عيناه بلهيب الغضب ، وهو يتابع بكل صرامة الدنيا :

ـ فليكن .. إننا لن نقف مكتوفى الأيدى .. انطلق فورًا ، على رأس فريق من أقوى رجالنا ، وأظفروا بـ ( أدهم ) هذا بأى ثمن .. هل تفهم ؟! أى ثمن ، حتى ولو نسفتم مبنى التليفزيون كله .

قالها ، واستدار يواجه الشاشة ، فى نفس اللحظة التى هرع فيها الرجل لتنفيذ الأوامر ، ليتابع فى غضب أكثر حديث ( ناديا ) ، وهى تقول :

ـ إذن فهذا ما تسعون إليه .. العثور على الأدلة .

هزّ رأسه نفيًا ، وهو يجيب فى هدوء :

ـ ليس بالنسبة للجميع .

ثم عاد يميل إلى الأمام ، ويواجه كاميرات التصوير مباشرة ، مكملاً بلهجة قوية :

ـ فالأمثال القديمة تقول : « إنه لابد من الذئاب لمواجهة الذئاب » أو كما نقول فى بلادنا « لا يفلّ الحديد إلا الحديد .. »

قالت ( ناديا ) فى حيرة :

ـ لست أدرى ما الذى يعنيه هذا ؟!

أجاب بمنتهى الحزم :

ـ يعنى أنه ، بالنسبة لمنظمة ( المافيا ) ، لسنا بحاجة إلى البحث عن أية أدلة ، فليس فى نيتنا رفع الأمر للقضاء .. إننا سنحاربهم بنفس أسلوبهم .. لن نكتفى بدور الفريسة ، التى تطاردها كل وحوش الغابة ، وليس لها من هم سوى الفرار والنجاة بنفسها .. سنقلب الأوضاع رأسًا على عقب ، وسنريهم أى خطر سيواجهون ، إذا تحولت الفريسة إلى وحش كاسر ، يقاتل بكل قوته ، دون شفقة أو رحمة .



تراجعت ( ناديا ) بدهشة بالغة ، وهى تقول :

ـ وهل تعلنون هذا ؟!

ابتسم ( أدهم ) مجيبًا :

ـ أظننا نفعل بالفعل .

قالت بدهشة كبيرة :

ـ هذا أسلوب جديد ، لم نسمع به من قبل قط .

حملت ابتسامته الكثير من الغموض ، وهو يقول :

ـ ربما هو كذلك بالنسبة لك ، ولكنه بالنسبة لى مجرَّد تطوير عصرى لأسلوب قديم ، واجهت منظمة شبيهة من قبل(*) .. عندئذ كنت أعمل وحدى ، أما هذه المرة ، فمعى فريق من الخبراء .

سألته فى حيرة حذرة :

ـ وهل تعتقد أنه من الحكمة أن تعلن خطواتك التالية على الملأ هكذا ؟!

(*) راجع قصة ( شيطان المافيا ) .. المغامرة رقم (٤٨) .

أجابها فى سرعة ، وهو يلقى نظرة على ساعته :

ـ بالتأكيد .. هذا سيربكهم ويستفزهم ويغضبهم .. والغضب سيُفقدهم حكمة تقييم الأمور ، وبدونها تصبح الهزيمة أقرب إليهم من حبل الوريد ، مع تخبطهم ، وسخطهم ، ورغبتهم فى تحقيق نصر سريع ، يعيد إليهم بعض كرامتهم المسكوبة .

انعقد حاجبا (يورى) بشدة عند تلك النقطة ، وألقى سيجارته إلى ركن الحجرة فى عنف ، ثم التقط سيجارة أخرى ، أشعلها فى سرعة ، و(ناديا) تقول على الشاشة :

ـ عجبًا ! هل كان هدفك من هذه المقابلة المباشرة ، هو أن تعلن استراتيجيتك هكذا ، أمام عيون ومسامع ملايين المشاهدين ، بمن فيهم من رجال ( المافيا ) أنفسهم .

ابتسم ، وهو يهزّ رأسه ، قائلاً :

ـ كلاّ .. هناك سبب آخر بالطبع ، فكما أخبرتك من



قبل ، فى تجربتى السابقة كنت أعمل منفردًا ، أما هذه المرة ، فنحن فريق كامل ، وزّع أفراده أنفسهم فى مساحة واسعة ، منذ فجر هذا اليوم ، وأحدهم كان مسئولاً عن تعطيل كل أنواع الاتصالات ، باستثناء البث التليفزيونى ، خلال هذا اللقاء ، ولكن كل منهم ينتظر إشارة منى ، للقيام بدوره فى الضربة الأولى ، التى سنعلن بها جدية موقفنا لمنظمة ( المافيا ) .

نفث ( يورى ) دخان سيجارته فى توتر شديد ، وهو يغمغم بكل العصبية :

ـ ما الذى يريد قوله بالضبط ؟!

تابع ( أدهم ) ، وقد حمل صوته حزمًا غير محدود :

ـ وفى غياب الاتصالات ، كانت هذه هى الوسيلة المثلى لبث إشارة البدء .

سألته ( ناديا ) فى ذعر :

ـ ماذا تعنى ؟!

تجاهلها تمامًا هذه المرة ، وهو يستدير بكيانه كله إلى كاميرات التصوير ، قائلاً :

- الآن حانت اللحظة .. نفذ .

مع قوله ، انقطع التيار الكهربى فى محطة البث التليفزيونى بغتة ، فأطلقت ( ناديا ) شهقة ذعر ، وصاحت :

- الأضواء .. أعيدوا الأضواء .. ستفسدون أفضل سبق إعلامى حصلت عليه ، فى حياتى كلها .. الأضواء بالله عليكم .

مضت ثوان قليلة ، قبل أن تسطع الأضواء مرة أخرى ، وتستقبل شاشات المشاهدين صورة المكان مرة ثانية ، وصورة ( ناديا فيدروفيتش ) ، وهى تحدّق فى مقعد ( أدهم ) بذهول ..

أما ( أدهم ) نفسه ، فلم يعد له أدنى أثر ..

لقد اختفى تمامًا ، وكأنما لم يكن هناك أبدًا ..

وبكل دهشتها وتوترها ، هتفت ( زوشا ) :

- أين ذهب ؟!



أجابها ( يورى ) فى عصبية ، وهو ينفث دخان سيجارته :

- ليس هذا ما يشغلنى .. إننى أبحث عن تفسير آخر كلمة نطق بها .

سألته فى حذر :

- أية كلمة ؟!

على الرغم منه ، ارتجفت شفتاه بصوته ، وهو يكرّر كلمة ( أدهم ) الأخيرة :

- نفذ .

وانتفض جسد ( زوشا ) ..

بمنتهى القوة ..

* * *

تثاءب رئيس فريق المحاسبين ، فى إحدى نقاط تجميع النقد ، التابعة لمنظمة ( المافيا ) الروسية فى إرهاق ، وخلع منظاره الطبى ، ليضعه على المنضدة أمامه ،

وهو يتابع أجولة النقود الضخمة ، التى يتم نقلها إلى مخزن كبير ، تحت حراسة مشددة ، من رجال مسلحين بالمدافع الآلية ، وقال لرجل ضخم غليظ الملامح :

- هل يمكننا أن نحصل على قدر من الراحة ؟! إننا نعمل منذ مساء أمس بلا توقف ، ومن الواضح أن إيرادات الليلة الماضية عالية ، وستحتاج إلى ثلاث ساعات أخرى من العمل ، و ...

قاطعه الضخم بزمجرة غاضبة ، وهو يقول فى خشونة :

- واصل عملك .

ازدرد رئيس فريق المحاسبين لعابه فى توتر ، وغمغم فى حذر :

- ربع ساعة فحسب .

زمجر الضخم مرة أخرى ، فى وحشية مخيفة ، مكررًا :



- واصل عملك .

زفر الرجل فى خوف واستسلام ، وعاد يلتقط منظاره ، ويضعه على عينيه ، ليواصل مع فريقه عملهم المرهق ..

والواقع أن الأمر كله كان عجيبًا للغاية ..

فالمكان هو واحد من اثنى عشر مثله ، موزعة فى أنحاء ( روسيا ) ، وتخضع لحراسة قوية مكثفة ، من منظمة ( المافيا ) الروسية ..

وإلى هذه الأماكن الاثنى عشر ، يتم توريد كل ما تحصل عليه المنظمة من نقد ، من الإتاوات التى تفرضها على كل الشركات ، والمتاجر ، وحتى المحال الصغيرة ، وكل ما تديره من أعمال حقيرة قذرة ، كتجارة المخدرات ، والتهريب ، وألعاب القمار ، والدعارة ، والبلطجة ، وسرقة السيارات ، إلى القتل والاغتيالات لحساب بعض المتنافسين ، فى مختلف المجالات ..

ولأن المنظمة ضخمة ومتغلغلة فى المجتمع الروسى

كله ، ولأن الفساد يكبر وينتشر فى ظل الظروف الاقتصادية السيئة فى المعتاد ، فإن أرباح المنظمة تبلغ حداً رهيبًا فى كل ليلة ، حتى إنها توضع فى أجولة كبيرة ، ويتم نقلها بوساطة أسطول من السيارات إلى تلك الأماكن ، حيث يتم عدّها ، ورصدها وإعادة توزيع جزء منها على مصروفات الرواتب ، والمكافآت ، والرشاوى الضخمة ، التى يتم إنفاقها على عدد كبير من المسئولين ، فى شتى المجالات ، كما يحصل كل زعيم من زعماء المنظمة على نصيبه ، ويوضع الباقى فى حسابات خاصة ، أو يتم تهريبه إلى الخارج ، كوسيلة لغسيله ، وإعادته بصورة شرعية إلى البلاد ..

وفى بعض الأحيان يبلغ حجم النقود ، فى هذه الأماكن ، مايفوق ماتحويه خزانة بنك (موسكو) المركزى ثلاث مرات على الأقل ..

لذا ، فعلى الرغم من الحراسة البالغة ، التى تحيط بتلك الأماكن ، إلا أنها أيضًا تحاط بسرية مطلقة ، لحمايتها من أية محاولة للسرقة أو الاقتحام ..



وفى تلك الليلة بالتحديد ، كانت الأرباح غزيرة للغاية ، حتى إن المكان قد امتلأ بالنقود ، إلى حد أرهق فريق المحاسبين والمراجعين ، كما لم يحدث منذ فترة طويلة للغاية !

ولأن هذا أحد الأخبار الجيِّدة ، التى لابد من إبلاغها لـ (يورى ايفانوفيتش) شخصيًا ، فقد حاول الضخم الاتصال به عدة مرات ، قبل أن يقول فى حدة :

- ماذا أصاب هذه الشبكة السخيفة اليوم .. لايمكننى إجراء اتصال واحد .

هرع إليه أحد رجاله فى توتر شديد ، وهو يهتف :

- (أيجور) .. هل تتابع ما يعرضه برنامج (صباح جديد) ؟!

زمجر (أيجور) فى غلظة ، قائلاً :

- لاوقت لدى لهذه التفاهات .

هتف الرجل ، وهو يلوّح بذراعه فى عصبية :

ـ ليست تفاهات يا ( أيجور ) .. الأمر يخصنا هذه المرة .

انعقد حاجبا ( أيجور ) الكثين ، واستدار يشعل التلفاز ، ثم يتراجع ليلقى نظرة على شاشته ، و ...

وانتفض جسده كله من فرط الدهشة والذهول ، وهو يحدّق ، مع الموجودين جميعًا ، فى صورة ( أدهم ) على شاشته ..

وبكل غضبه وتوتره ، هتف ( أيجور ) :

ـ ما هذا بالضبط ؟! كيف يستضيفونه هكذا ؟!

كان ( أدهم ) يختم اللقاء بكلماته الأخيرة ، ثم يشير بسبّابته ، قائلاً كلمة الختام :

ـ نفذ .

ثم انقطع البث دفعة واحدة .

وتوقّف الكل عن العمل أيضًا ..

فريق المحاسبين ..



رجال ( المافيا ) ..

و ( أيجور ) ..

كلهم حدّقوا فى الشاشة السوداء فى حيرة قلقة ، وغمغم ( أيجور ) بصوت عصبى :

ـ نفذ ؟! .. ما الذى ..

قبل أن يتمّ عبارته ، دوى الانفجار ..

قنبلة مخفاه بمهارة مدهشة ، داخل أحد أجولة النقد ، انفجرت بمنتهى العنف ، داخل المخزن الرئيسى ، وتناثرت منها مادة حارقة ، أشعلت النيران فى أكوام النقد داخله فى لحظة واحدة ..

وبكل الذعر ، انطلق المحاسبون يفرون من المكان ، وهم يطلقون صرخات عالية ، فى حين رفع ( أيجور ) فوهة مدفعه الآلى بحركة غريزية ، وهو يصرخ فى عصبية بالغة :

ـ ماذا حدث ؟! ماذا حدث ؟!

مع آخر حروف كلماته ، دوى انفجاران آخران عنيفان ، نسفا سيارتين من السيارات التى تحمل أجولة النقود ، وآثارا موجة هائلة من الاضطراب والهرج والمرج ، والنيران تنتشر فى كل مكان ..

وعلى الرغم من أن المكان مزوّد بنظام إليكترونى دقيق لمكافحة النيران ، إلا أن أجهزة إطفاء الحريق لم تعمل على الإطلاق ، وكأنما أفسد خبير فى الاتصالات والإليكترونيات عملها ..

وأمام عيون رجال ( المافيا ) الروسية ، وعلى الرغم من محاولاتهم اليائسة المستميتة ، راحت النيران تلتهم أكوام النقد بسرعة وشراهة ما لهما من مثيل ..

وهنا .. هنا فقط نجح ( أيجور ) فى إجراء الاتصال بزعيمه ( يورى إيفانوفيتش ) ، بعد أن استعادت شبكة الاتصالات عملها مرة أخرى ..

وعبر الموجات اللاسلكية الرقمية ، راح ( أيجور )



يصف ويروى ما حدث لزعيمه ، الذى اشتعل غضب هادر فى أعماقه ، جعله يهتف فى ثورة :

ـ أريد رأس هذا الرجل يا ( أيجور ) .. أريد رأسه ورأس فريقه كله .

هتفت ( زوشا ) فى قلق :

ـ حذار أيها الزعيم .. إنك تفعل ما توقَّعه المصرى ..

استدار إليها ( يورى ) فى حدة ، وهوى على وجهها بصفعة قوية ، صارخًا :

ـ اخرسى .

ألقتها الصفعة أرضًا فى عنف ، ولكنها واصلت فى ذعر :

ـ لقد قال : إن الغضب سيفقدك حكمة اتخاذ القرار ..

بدا لحظة ، بكل ملامح الشراسة والوحشية على وجهه ، وكأنه سينقضّ عليها ليمزّقها أربًا ، إلا أن حاجبيه انعقدا فجأة فى شدة ، كما لو أن عبارتها قد نجحت أخيرًا فى بلوغ مخه ، فى حين تعالى صوت ( أيجور ) ، عبر الهاتف المحمول ، وهو يهتف :

ـ بِمَ تأمر أيها الزعيم .. بم تأمر .

التقط ( يورى ) نفسًا عميقًا ، قبل أن يقول له فى صرامة :

ـ ليس الآن يا ( أيجور ) .. ليس الآن .

وأنهى الاتصال ، ثم التفت إلى ( زوشا ) ، التى نهضت من سقطتها ، تمسح خيط الدم ، الذى سال من ركن شفتيها ، وقال فى عصبية :

ـ ثلاث ضربات فى وقت واحد يا ( زوشا ) .. بإشارة منه ، على شاشة التلفاز ، قام رجاله بثلاث عمليات فى آن واحد .. هل تصدقين هذا ؟! ثلاثة من أكبر مراكز تجميع النقد لدينا تم نسفها ، وحرق كل ما تحويه فى وقت واحد ! إنها ثالث مكالمة أتلقاها بالمعنى نفسه ، وتطلبين منى أن أحتفظ بهدوء أعصابى ؟! هل تدركين كم خسرنا ، خلال الدقائق القليلة الماضية ؟! ما يزيد على الثلاثين مليونًا من الدولارات .. هل تدركين ما الذى يعنيه هذا ؟!



اقتربت منه فى حذر ، وهى تقول فى انفعال :

ـ هذا ما يريدونه بالضبط .. أن تغضب حتى النخاع ، وأن يصبح الغضب هو المحرك الرئيسى لتصرفاتك وقراراتك .

على الرغم من الغضب والثورة الهائلين فى أعماقه ، بدت له كلماتها منطقية للغاية ، فأشعل سيجارة جديدة ، وهو يقول فى حدة :

ـ لقد تجاوز كل ما تصورته من حدود .. أعترف بأنها أول خطوة لا يمكننى توقعها على الإطلاق .

قالت فى سرعة ، محاولة تهدئته :

ـ ولكنه ارتكب خطأً ضخمًا بفعلته هذه ، فكلنا نعلم أنه بث مباشر ، على الهواء مباشرة ، وهذا يعنى أنه لم يبتعد كثيرًا بعد .

تألقت عيناه بشدة ، وهو يهتف :

ـ بالضبط .

ثم التقط هاتفه الخلوى مرة أخرى ، مستطردًا :

ـ لمحة عبقرية يا ( زوشا ) .

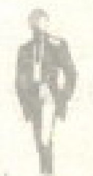
وعندما ألقى أوامره هذه المرة ، انطلق فريق من رجاله لحصار منطقة البث ، مع أوامر مشدَّدة ببذل كل جهد ممكن ، للإيقاع بـ ( أدهم ) وفريقه ..

وكان هذا يعنى أن القوات الرسمية ، التى أرسلها الجنرال ( كواليسكى ) للهدف نفسه ، قد تم تدعيمها بجيش وحشى غير رسمى ..

ويعنى أن أبواب الجحيم ستتفتح دفعة واحدة ..

وعلى مصراعيها .







## ٤ ـ رد الفعل ..

سرت همهمة عصبية ، فى حجرة الاجتماعات الرئيسية ، بمبنى المخابرات العامة المصرية ، والجميع يناقشون فى انفعال تلك الخطوة غير المتوقَّعة ، التى أقدم عليها ( أدهم ) فى ( موسكو ) ، ما بين مؤيِّد ومعارض ، ومحبِّذ ومستنكر ، حتى وصل المدير ، فتوقَّف الكل عن المناقشة والمحاورة ، حتى استقرَّ على مقعده ، على رأس مائدة الاجتماعات ، وهو يقول فى حزم :

ـ لقد بلغتكم بالتأكيد أخبار ( موسكو ) .

عادت الهمهمة تسرى بينهم لحظة ، قبل أن يقول أحدهم فى توتر :

ـ الواقع ياسيِّدى أن ماحدث فى ( موسكو ) ، منذ دقائق قليلة ، يعدّ مهزلة بكل المقاييس ، وفضيحة

لأى جهاز مخابرات فى العالم ، فمنذ متى يتحوّل عملنا ،
الذى يعتمد على السرية الكاملة ، إلى هذا النمط العلنى
المستفز ، بحيث يظهر رجل مخابرات محترف على
شاشة تلفاز عام ، على الهواء مباشرة ، ليتهم جنرالا
فى المخابرات الروسية ، ويتحدّى منظمة إجرامية علنًا .

قال المدير فى هدوء :

ـ أهذا كل ما يشغلك ؟!

اندفع آخر يقول فى قلق :

ـ العميد (أدهم) عرّض ، بمبادرته غير الطبيعية
هذه ، أمنه وسلامته ، وأمن فريقه وسلامته أيضًا ،
لكل الخطر ، واللّه (سبحانه وتعالى) وحده يعلم ،
ما الذى يمكن أن يحدث ، خلال الساعات القادمة .

هتف ثالث :

ـ هذا سيثير جنون الكل حتمًا .

قال المدير بنفس الهدوء :



ـ ربما كان هذا هو المقصود بالأمر كله .

هتف الأوّل :

ـ ليس بهذا الأسلوب .

تركهم المدير يناقشون ، ويعارضون ، ويختلفون
لبضع دقائق ، قبل أن يقول :

ـ الآن ، وبعد أن عبّر كل منكم عن رأيه ، دعونى
أتحدّث بما أراه ، وبما توافر لدينا من معلومات مؤكّدة .

ثم مال إلى الأمام ، وهو يكمل فى حزم :

ـ أوّلاً ، فى كل ما حدث ، وحتى هذه اللحظة ، لم
يشر (أدهم) ، أو تشير السلطات الروسية ، ولو بكلمة
واحدة ، إلى انتمائه ، أو انتماء أى من أفراد فريقه ،
إلى المخابرات المصرية .

قال أحدهم معترضًا :

ـ هذا واضح ضمنيًا !

أشار المدير بسبّابته ، قائلاً :

- فارق ضخم بين الأمرين يا رجل ، وكلكم تعلمون هذا جيدًا ، وتدرسونه فى أثناء دورات التدريب ، التى تتلقونها فى بداية التحاقكم بالعمل هنا .. التصريح شىء ، والمفهوم الضمنى شىء آخر تمامًا ، ففى حالتنا الراهنة ، ومن الناحية الرسمية ، لاشأن لنا بما يحدث فى (موسكو) بل وسيصبح من العسير أن تقنع شخصًا واحدًا بهذا ، بعد أن حوّل (ن ـ ١) الصراع إلى أوراق مكشوفة علانية هكذا ، فالواقع أن مبادرته هذه تفيدنا بأكثر مما تضرنا ؛ لأنها تتعارض بشدة مع قواعد العقل والمنطق ، ومع أبسط قواعد عمل المخابرات كما تقولون ، وهذا ما سينظر إليه الآخرون أيضًا ، وما سيجعلهم ، نفسيًا ومنطقيًا ، يستبعدون فكرة انتماء (أدهم) وفريقه إلى المخابرات المصرية ، بأى حال من الأحوال .. ربما يتصوّرون أنها صراعات بين منظمات دولية ، أو أى شىء آخر ، أما أن يكون هناك صراع مباشر علنى ، بين جهاز مخابرات ، ومنظمة إجرامية ، فهذا ما لن يخطر ببالهم قط .



تساءل آخر :

- هل تؤيد إذن مبادرة العميد (أدهم) يا سيدى ؟!

التقط المدير نفسًا عميقًا ، قبل أن يقول :

- (ن ـ ١) حالة خاصة ، ليس فى جهاز مخابراتنا فحسب ، ولكن بين كل أجهزة المخابرات فى العالم أيضًا ، وعلى عكس المعهود فى عالم المخابرات ، فإن نجاحاته المدهشة ترتبط بتجاوزه لكل القواعد التقليدية المعروفة ، وأولها قاعدة السرية ، التى لايمكن أن تنطبق على شخص عالمى شهير مثله ، تحفظ كل أجهزة المخابرات العالمية اسمه وصورته وصفاته عن ظهر قلب ، ويسعى نصفها خلفه فى استماتة ، باعتباره العدو رقم واحد لنشاطاتها العدوانية ، فى المنطقة العربية كلها .. وعندما نرغب فى تقييم تصرُّف شخص مثله ، لابد أن نتجاوز كل الأعراف والتقليديات ، والقواعد العامة ، وأن ننظر للأمر باعتباره حالة خاصة ، تحتاج إلى قواعد استثنائية

تمامًا .. ولو أنكم راجعتم أشهر عمليات المخابرات الناجحة ، فى الصراع بيننا وبين العدو الإسرائيلى ؛ لأدركتم أن كل عملية منها قد تجاوزت القواعد التقليدية المعروفة ، فى عالم الجاسوسية ، وهذا كان السبب الرئيسى لنجاحها(*) ..

كلماته جعلتهم يتبادلون جميعًا نظرة صامتة ، تشف عن أن الاقتناع قد بدأ يجد سبيله إلى عقولهم ، فتابع المدير بنفس الحزم :

ـ كانت النية تتجه ، قبل أن يتعقد الموقف هكذا ، إلى التدخل رسميًا ودبلوماسيًا ، ولكن (ن ـ ١) نفسه طلب عدم القيام بهذا ، مؤكدًا أن بقدرته مع فريقه الخروج من الأزمة ، دون إحراج (مصر) بأى حال من الأحوال .

ابتسم أحد الرجال فى إعجاب ، قائلاً :

ـ هذا هو (أدهم صبرى) الذى نعرفه .. حتى فى أحلك المواقف ، يضع مصلحة (مصر) فوق كل اعتبار .

---

(*) حقيقة ..



أشار إليه المدير ، قائلاً :

ـ بالضبط ، ولكن السؤال الآن هو : هل يمكن أن يواجه (ن ـ ١) وفريقه دولة كاملة بشقيها ، بإمكانياتهم المحدودة وحدها ؟!

قال أحد الرجال ، فى قلق شديد :

ـ معذرة ياسيادة المدير ، ولكن السؤال الذى يسبق هذا الآن هو كيف سيجد العميد (أدهم) وسيلة للنجاة ، بعد أن أعلن للكل موقعه ، على هذا النحو السافر ؟!

ومرة أخرى ، تبادل الحاضرون جميعًا نظرة صامتة ، دون أن يُحير أحدهم جوابًا .. فقد كان هذا هو السؤال الحقيقى ..

بعد أن أعلن ( أدهم ) ، على الهواء مباشرة ، أين يوجد بالضبط ..

كيف ؟!

* * *

امتزج رنين جرس الباب بثلاث دقات متفرقة ، فى ذلك المنزل الآمن ، فى قلب ( موسكو ) ، فاندفع ( شريف ) نحو الباب فى لهفة ، وألقى نظرة على القادم ، عبر عينه السحرية قبل أن يهتف ، وهو يفتحه فى سرعة :

ـ حمدًا لله .

قالت ( منى ) فى صرامة ، وهى تسرع نحوه :

ـ بالروسية يا ( شريف ) .. بالروسية .

ظهرت ( ريهام ) عند الباب ، بشعر أشقر ، وعينين زرقاوين ، وزينة مبالغة ، وقالت بالروسية ، وهى تندفع إلى الداخل :

ـ أخيرًا .

أغلق ( شريف ) الباب خلفها ، وهو يقول فى لهفة متوترة :

ـ هل سار كل شىء على ما يرام ؟!



أومأت ( ريهام ) برأسها إيجابًا ، وألقت نفسها على أقرب مقعد إليها ، وهى تقول :

ـ بالتأكيد .. خطة الأستاذ كانت رائعة ومتقنة بحق .. لقد انشغل الكل بمتابعة ذلك اللقاء المدهش معه ، على الهواء مباشرة ، وأذهلتهم جرأته وثقته المفرطة ، والأسلوب الذى واجه به الموقف كله ، مما منحنى فرصة ممتازة لزرع المتفجرات حيثما أريد ، تحت حماية ( علاء ) ، و ...

بترت عبارتها ، لتسأل فى لهفة قلقة ، وهى تتلفت حولها :

ـ ألم يصل بعد ؟!

هزَّ ( قدرى ) رأسه فى توتر ، مغمغمًا :

ـ إننا فى انتظاره .

قالت بقلق شديد :

ـ كيف ؟! لقد افترقنا بعد زرع المتفجرات ، وفقًا للخطة ، وكان ينبغى أن يصل إلى هنا قبل أن أصل أنا .



أومأت ( ريهام ) برأسها إيجابًا ، وألقت نفسها على أقرب مقعد إليها ..

حاولت (منى) أن تخفى قلقها المماثل ، وهى تقول :

- إنه ينتحل شخصية شاب أعمى ، وربما يعيقه هذا بعض الوقت .

هزّت ( ريهام ) رأسها نفيًا فى توتر شديد ، وهى تقول :

- على العكس .. عاهته المصطنعة هذه ستساعده على أن يستقل الحافلة العامة ، وأن يظفر بمقعد خاص ، حتى الميدان الأحمر ، ومن هناك يمكنه استخدام مترو الأنفاق ، ليصل إلى هنا خلال عشر دقائق فحسب ، أما أنا فقد كان علىّ أن أقطع مسافة طويلة سيرًا على الأقدام ، قبل أن تحملنى سيارة أجرة إلى الشارع الموازى .

والتقطت نفسًا عميقًا ، قبل أن تتابع فى توتر أكثر :

- فكيف لم يصل بعد ؟!

غمغمت (منى) ، وهى تلقى نظرة على ساعتها :

- ( أدهم ) أيضًا لم يعد بعد .

سألها ( قدرى ) بقلق مفزع .

ـ هل أخبرك كيف سيعود ، بعد كل ما فعله ؟!

هزت رأسها نفيًا ، وهى تجيب بصوت حمل رنة دموعها :

ـ إنه لا يخبرنى بأى شىء ، عندما يقرر العمل وحده .

ران على الجميع صمت ثقيل رهيب ، وكل منهم يفكر فى مصير الغائبين ، ثم لم يلبث الدكتور ( أحمد ) أن قطع ذلك الصمت ، قائلاً :

ـ ما داموا لم يعلنوا شيئًا بشأنه ، فهو بخير بإذن الله .

التفت الكل إليه بعيون متسائلة ، فتابع ، وقد بدأ قلقه يعلن عن نفسه فى نبراته :

ـ أعنى أنه ، بعد كل ما فعله ( أدهم ) هذا الصباح ، فإنهم سيتلهفون على إعلان ظفرهم به رسميًا .



قالت ( منى ) بصوت مرتجف :

ـ ربما أخفوا هذا ، حتى يظفروا بنا .

اتسعت عينا ( شريف ) فى ارتياع ، ثم لم يلبث أن هتف فجأة :

ـ قد يخفونه رسميًا ، وليس فى سجلات معلوماتهم .

ثم اندفع نحو جهاز الكمبيوتر النقّال ، الذى أحضره ( أسعد ) ، وهو يضيف :

ـ ولقد حصلنا على شفرتهم السرية الجديدة بالفعل .

التفّ الكل حوله فى لهفة وترقُّب ، وأصابعه تتقافز فى سرعة على أزرار الكمبيوتر النقّال ، المتصل بأسلاك الهاتف ..

ومضت دقيقة من الصمت ، وهو يتصفّح شبكة المعلومات الروسية على شاشة الكمبيوتر ، ثم غمغم ( قدرى ) فى عصبية :

ـ كيف يمكنك التعامل مع هذا الشىء ؟! إنه يستخدم اللغة الروسية فحسب !

غمغم (شريف)، وكل انتباهه مركزٌ على الشاشة :

ـ لقد تدرّبت على هذا فى ( القاهرة ) ، قبل أن نبدأ مهمتنا الرئيسية ، و ...

بتر عبارته بغتة ، وهو يهتف فى ارتياع :

ـ يا إلهى !

صاحت به ( منى ) فى ذعر :

ـ ماذا حدث ؟!

أدار إليها عينين ملتاعتين ووجه شاحب ، وهو يجيب بصوت مرتجف :

ـ لقد ظفروا به .

وهوى قلبها بين قدميها ..

كالصخرة ..

* * *

لا أحد يستطيع أن يدّعى أن جهاز المخابرات الروسى



متخاذل أو ضعيف ، ففى غضون دقائق ست ، من انقطاع التيار الكهربى المباغت ، فى ستوديوهات التصوير التليفزيونى الخارجية ، حتى كانت المنطقة كلها محاصرة بإحكام مدهش ، فى دائرة نصف قطرها كيلومتر واحد ..

لا أحد كان يمكنه الخروج من تلك الدائرة ، أوحتى الدخول إليها ، دون أن يتمّ تفتيشه وفحصه ، ومراجعة أوراقه بمنتهى الدقة والحزم ، مهما كانت هويته أو وظيفته ..

لا استثناءات على الإطلاق ..

حتى البعوضة ، لم يكن باستطاعتها الإفلات ، من نطاق محكم كهذا ..

وفى نشاط حازم صارم ، راح (ليبروسكى) ، المساعد الأوّل للجنرال (كواليسكى) يتنقّل ، من مكان إلى مكان ، فى دائرة الحصار ، للتأكّد من السيطرة التامة على الموقف ، ومن أن كل شىء يسير على ما يرام ..

وعبر الهاتف الخلوى ، هتف به الجنرال (كواليسكى) فى عصبية :

- هل ظفرتم به ؟!

أجابه ( ليبروسكى ) فى حزم :

- اطمئن يا جنرال .. لن يفلت منا أبدًا ..

صاح الجنرال فى غضب :

- لا أريد عبارات جوفاء يا ( ليبروسكى ) .. أريد ذلك المصرى وكل فريقه .. هل تفهم ؟!

كتم ( ليبروسكى ) توتره ، وهو يغمغم :

- أفهم يا جنرال .. أفهم ..

أنهى المحادثة وهو يشعر بتوتر زائد فى أعماقه ، جعله يصرخ فى رجاله :

- لا تستثنوا أحدًا هل تفهمون ؟!

ثم عاد يتحرك فى انفعال ، مغمغمًا فى حنق :



- تلك الحقيرة ( ناديا ) .. كيف تستضيف شخصًا كهذا ، على الهواء مباشرة ؟! إنها تحتاج إلى درس قاسٍ ، لتدرك ما الذى يعنيه أمن الدولة من أولوية ، على كل الطموحات السخيفة الأخرى .. أقسم إن ..

قبل أن يتمّ عبارته الغاضبة المحنقة ، ارتفع رنين هاتفه المحمول مرة أخرى ، فالتقطه بحركة سريعة ، وضغط زر الاتصال ، قائلاً :

- ( ليبروسكى ) .

أتاه صوت جاف ، يقول :

- لقد توصّلنا إلى معلومة جديدة مهمة ، بشأن ذلك المصرى ، ولقد طلب منا الجنرال (كواليسكى) إبلاغك إياها فورًا .

انعقد حاجبا (ليبروسكى) ، وهو يسأل فى صرامة :

- من المتحدّث ؟!

أجابه الرجل فى سرعة :

- (يوجين ديمترى) ياكولونيل .. من قسم المعلومات .

ألقى (ليبروسكى) نظرة على شاشة هاتفه المحمول ، وتيقّن من أن الرقم الذى يحدثه لم يتم رصده عليها ، وهى خاصية لا تتمتّع بها سوى الجهات الأمنية رفيعة المستوى ، فى معظم دول العالم(*) ، قبل أن يسأل فى اهتمام :

- ماذا لديك يا ( ديمترى ) ؟!

حمل صوت الرجل الكثير من الاهتمام والحزم ، وهو يقول :

- المصرى متنكر فى هيئة دبلوماسى أمريكى ، ولقد نجح فى خداع سائق سيارة الدبلوماسى نفسه ، وأقنعه بأن يحمله إلى ستوديوهات التصوير التليفزيونى الخارجية .

انعقد حاجبا ( ليبروسكى ) فى شدة ، وهو يردّد فى عصبية :

---

(*) حقيقة ..



- دبلوماسى أمريكى ؟!

تابع الرجل باللهجة ذاتها :

- إنه يستغل الحصانة الدبلوماسية ، التى ستمنع أى رجل أمن روسى من إيقاف السيارة ، و ...

قاطعه ( ليبروسكى ) فى حدة :

- إننى أفهم هذا .

قالها ، وأنهى المحادثة على نحو عصبى ، وهو يغمغم :

- دبلوماسى أمريكى ؟! يا له من داهية ! هل يتصوّر أنه سيضعنا فى حرج سياسى ، أم ...

بتر عبارته ، وهو يدير الأمر فى رأسه مرة أخرى ، قبل أن يتابع فى عصبية :

- أعتقد أن الأمر يحتاج إلى أمر مباشر من الجنرال (كواليسكى) نفسه .

التقط مرة أخرى هاتفه المحمول ، و ...

وفجأة ، ظهرت السيارة الدبلوماسية السوداء عند الناصية ، وهى تحمل على مقدمتها العلم الأمريكى ، فأفسح لها رجال الأمن التابعين لـ (ليبروسكى) الطريق ، وفقًا للقواعد الأمنية المعتادة ، إلا أن هذا الأخير اندفع يعترض طريق السيارة بمدفعه الآلى ، هاتفًا بكل صرامة :

ـ قف .

أوقف السائق الشيخ السيارة بالفعل فى نفس اللحظة التى اندفع فيها بعض رجال (ليبروسكى) للإحاطة بها بمدافعهم الآلية ، مؤازرة لرئيسهم ، ففتح السائق ، الذى يرتدى زيًا رسميًا أنيقًا ، النافذة المجاورة له ، وهو يقول فى استنكار :

ـ ماذا هناك أيها الضابط ؟! هذه السيارة دبلوماسية ، تتبع السفارة الأمريكية ، وليس من حقكم ..

قاطعه (ليبروسكى) فى صرامة شرسة :

ـ أوراقك .



بدت دهشة أكثر استنكارًا على وجه السائق المتغضن ، وهو يقول :

ـ ولكن هذا يتعارض مع ..

قاطعه ( ليبروسكى ) بصرخة هادرة :

ـ اخرج من السيارة ، وابرز أوراقك ، وإلا أطلقنا النار .. وهذا إنذار أخير .

احتقن وجه السائق ، وبدا عليه الغضب ، ولكن صوتًا هادئًا أتاه من المقعد الخلفى ، قائلاً :

ـ هذا يتعارض مع القواعد والأعراف الدبلوماسية يا (جاك ) ، ولكن لا بأس .. أعطه الأوراق ، ولكن لا تغادر السيارة ، فوجودك داخلها يمنحك حصانة خاصة ، تنتفى فور خروجك منها(*) .

انعقد حاجبا (ليبروسكى) فى شدة ، ومال برأسه ، ليلقى نظرة على ذلك الجالس فى المقعد الخلفى للسيارة الدبلوماسية ، قبل أن تتألق عيناه بانفعال ..

(*) حقيقة ، فالسيارة الدبلوماسية كأرض السفارة ، تعتبر جزءًا من الدولة التى تحمل علمها ، والاعتداء عليها دون سند قانونى ، يشبه الاعتداء على أرض الدولة نفسها .

كان رجلاً قويًا ، متين البنيان ، أسود الشعر والعينين ، له شارب كث ، يمنحه عمرًا يفوق ما توحى به ملامح وجهه الوسيم ، ويرتدى معطفًا أسود بالغ الأناقة ، ويبدو هادئًا واثقًا ، على نحو استفزّ الروسى ، فقال فى صرامة ساخرة :

ـ من الذى يتحدّث بالضبط ؟!

أجابه الرجل فى رصانة ، لاتخلو من رنة صارمة :

ـ ( هربرت جون سميث ) .. الملحق الثقافى للسفارة الأمريكية ، وأحمل جواز سفر دبلوماسيًا ، و ...

قاطعه ( ليبروسكى ) فى سخرية :

ـ وماذا يفعل الملحق الثقافى الأمريكى فى الضواحى ، فى ساعة مبكرة كهذه ؟!

ناول السائق الشيخ الأوراق لـ ( ليبروسكى ) ، وهو يقول فى عصبية :

ـ أعتقد أنك تتجاوز حدودك القانونية أيها الضابط ، و ...



قاطعه ( ليبروسكى ) بصرخة وحشية ، وهو ينتزع الأوراق منه بغلظة :

ـ اصمت .

ثم ناول الأوراق لأحد رجاله ، قائلاً فى صرامة :

ـ افحصها بمنتهى الدقة .

وعاد يميل نحو الملحق الثقافى ، مستطردًا فى شراسة :

ـ لم أسمع جوابك بعد .

انعقد حاجبا الدبلوماسى ، وهو يقول :

ـ ( جاك ) على حق .. أنت تتجاوز حدودك القانونية والأعراف الدبلوماسية على نحو سافر .

اشتعل وجه ( ليبروسكى ) غضبًا ، وارتفعت فوهة مدفعه الآلى نحو الدبلوماسى ، وهو يقول فى شراسة وحشية :

ـ اخرج من السيارة .

هتف السائق :

ـ ليس هذا من حقك .

صرخ ( ليبروسكى ) مكررًا ، وهو يجذب إبرة مدفعه فى حدة :

ـ قلت : اخرج .

التقط السائق هاتف السيارة ، وهو يقول فى عصبية :

ـ سأتصل بالسفارة ، لـ ...

بدا القلق على وجه الدبلوماسى ، وهو يمسك كتفه ، قائلاً :

ـ كلاً .. لا تفعل .

تألقت عينا (ليبروسكى) ، مع رد الفعل الواضح ، وأيقن فى أعماقه من أن هذا الدبلوماسى يخشى إبلاغ الأمر للسفارة لسبب ما ، وخاصة عندما أضاف فى توتر :

ـ سأفعل ما يطلبه الروسى .



ثم استطرد فى عصبية ، وهو يفتح باب السيارة :

ـ ربما ينهى هذا الأزمة كلها .

تراجع (ليبروسكى) خطوتين ، وأشار إلى رجاله ، فصوَّبوا مدافعهم فى تحفز إلى الدبلوماسى ، الذى غادر السيارة فى توتر ، وهو يقول :

ـ أحذرك من أن كل هذا سيتم إبلاغه إلى رؤسائك رسميًا أيها الضابط ؛ لاتخاذ الخطوات والإجراءات القانونية اللازمة ضدك ، وضد الجهة التى تنتمى إليها .

قال ( ليبروسكى ) فى سخرية :

ـ سأتحمّل النتائج .

ثم مدّ يده ، وجذب شارب الدبلوماسى فى قوة ، مستطردًا فى صرامة :

ـ بعد أن أزيل تنكُّرك .

أطلق الدبلوماسى صرخة ألم ، هاتفًا فى غضب مستنكر :

ـ ماذا تفعل ؟!

احتقن وجه (ليروسكى) ، وسرت ارتجافه عصبية فى جسده كله ، وهو يقول :

ـ إنه .. إنه شارب حقيقى .

هتف الدبلوماسى بغضب شديد :

ـ بالطبع أيها الغبى المتعنت .. ماذا كنت تتوقَّع ؟!

ازداد احتقان وجه ( ليروسكى ) ، وهو يحدِّق فى الدبلوماسى بذهول مذعور ، وقد بدا له أنه قد فهم الخدعة كلها ..

إنه ( أدهم صبرى ) ، يعبث بهم كعادته ؛ ليجعلهم سخرية للجميع ..

تلك الاتصال الزائف الذى تلقاه ، كان منه بالتأكيد ..

خبير الكمبيوتر والإليكترونيات فى فريقه كان قادرًا على التسلُّل إلى شبكة الاتصالات ، ومنع رقم أى هاتف من الظهور على شاشته ؛ ليوحى إليه بأنه



يتلقَّى اتصالاً من قسم المعلومات بجهاز المخابرات الروسى بالفعل ..

ثم دفعهم نحو هدف زائف ..

هدف يكفى لإرباكهم ، وتوريطهم فى مشكلة دبلوماسية كبيرة ، ويمنحه الفرصة والوقت أيضًا ، ليتسلَّل خارج منطقة الحصار ، فى أثناء انشغالهم بما تصوَّروا أنه لحظة الظفر والانتصار ..

يا للداهية !

« سأتخذ كل الإجراءات الرسمية ، للرد على هذه الإهانة .. »

انتزعه الدبلوماسى من أفكاره بهذه الصيحة ، وهو يعود إلى سيارته ، فلم ينبس ( ليروسكى ) ببنت شفة ، من فرط شعوره بالقهر والمهانة ، وخفض فوهة مدفعه بحركة غريزية ، ليتبعه رجاله كلهم فى آلية ، فى حين هتف الدبلوماسى بكل الغضب ، وهو ينتزع أوراق السيارة من يد الجندى :

ـ سترون نتائج فعلتكم هذه .

لم يكد يتمّ عبارتـه ، حتـى ارتفـع رنيـن هـاتف (ليبروسكى) المحمول ، فالتقطه بحركة آلية محبطة ، وهو يقول :

ـ (ليبروسكى) .

كان من الواضح أنه قد تعرّف صوت محدثه على الفور ، وهو يعتدل فى وقفة عسكرية غريزية ، قائلاً :

ـ أوامرك يا جنرال .

ثم انعقد حاجباه فى شدة ، ، وهو يستمع إليه فى انتباه ، قبل أن تتألق عيناه ، ويهتف فى لهفة ظافرة :

ـ إذن فقد ظفرنا به .. رائع يا جنرال .. رائع .

انعقد حاجبا الدبلوماسى بدوره ، وهو يقول لسائقه :

ـ هيا يا (جاك) .. دعنا نغادر هذا المكان الموبوء ..

انطلق السائق بالسيارة على الفور ، خارج دائرة الحصار ، ولم يكد يتجاوزها حتى قال فى توتر قلق :



ـ ما الذى يعنيه بأنهم قد ظفروا به ؟!

نطقها السائق الشيخ باللغة العربية ، وبصوت مألوف تمامًا ..

صوت ( أدهم ) ..

( أدهم صبرى ) .

* * *



## ٥ ـ الأسـير ..

« السائق »

نطق (يورى إيفانوفيتش) الكلمـة فى بطء حازم ، وهو ينفث دخان سيجارته فى قوة ، فسألته (زوشا) فى حيرة حذرة :

ـ ماذا تعنى ؟!

أشار بيده ، قائلاً :

ـ لو أننى ألعب دور (أدهم صبرى) هـذا ، وأردت أن أنجو من حصار عصبى كهذا ، فأذكى ما يمكن أن أفعله ، هو أن أعكس الأدوار .. ألعب دور السائق ، الذى لن يبالى أو يهتم به أحد ، وأضع زميلاً آخر فى دور الدبلوماسى ، الذى أرسل التحذير الوهمى بشأنه .

قالت فى حيرة :



ـ ولماذا تتصوَّر أن أمر السيارة الدبلوماسية كلـه زائف ، ما داموا قد راجعوا أوراقهـا ، ووجدوا أنها سليمة تمامًا ؟!

مال إلى الأمام ، ونفث دخان سيجارته مرة أخـرى ، قائلاً فى انفعال :

لأن هذه هى الفكرة العبقرية الوحيدة ، التى تجعله يتجاوز الحصار ، تحت سمع وبصر رجال المخابرات الروسية .

أضاف فى حزم :

ـ ورجالنا أيضًا .

تراجع ، مغمغمًا فى ضيق :

ـ ورجالنا أيضًا .

ثم عاد يميل إلى الأمام بغتة ، متابعًا فى صرامة :

ـ الأوراق يمكن تزويرها بمنتهى الدقة ، وكذلك لوحات أرقام السيارة الدبلوماسية ، ولاتنسى أن أحد أفرادهم ،

الذين كان من المقرَّر ترحيلهم ، خبير فى التزييف والتزوير ، لا يشقّ له غبار .

انعقد حاجبا ( زوشا ) ، والتقطت ضاغطًا لتقوية قبضتها ، وهى تقول :

ـ خبير تزييف وتزوير ، وخبيرة متفجرات ، وخبير اتصالات وإليكترونيات .. يبدو أن فريق المصريين يتكوّن كله من خبراء !

ألقى سيجارته فى ركن القاعة بحدة ، قائلاً :

ـ نحن أيضًا لدينا خبراء لا يشق لهم غبار ، فى شتى المجالات .

وبسرعة التقط سيجارة لخرى ، وأشعلها ، مستطردًا فى عصبية :

ـ وهذا يعنى أن الحرب القادمة هى حرب خبراء .

خيِّل إليها أن عبارته قد أيقظت فى نفسه فكرة ما ، فقد التقى حاجباه على نحو يوحى بالتفكير العميق ، فسألته هامسة فى حذر :



ـ ( يورى ) .. هل ..

أوقفها بإشارة صارمة صامتة من يده ، وهو يواصل تفكيره ، الذى هيمن على كيانه كله لست دقائق كاملة ، لاذت هى خلالها بصمت مطبق ، وهى تراقبه فى اهتمام بالغ ، حتى اعتدل فجأة ، ورفع عينيه إليها بحركة حادة ، قائلاً :

ـ بالضبط .

انتفض جسدها مع قوله المباغت ، وقالت فى آلية :

ـ بالضبط ماذا ؟!

هبَّ من مقعده ، هاتفًا فى انفعال :

ـ إنها حرب خبراء .

بدت عليها حيرة شديدة ، فتابع فى حماسة :

ـ أعترف بأن ( أدهم صبرى ) هذا قد أربكنى بحق ، عندما باغتنى بخطوة لا يمكن توقُّعها أو تخيلها ، وأنه كاد يدفعنى إلى فقدان أعصابى ، لولا أن تمالكت نفسى فى اللحظة الأخيرة .

كادت تخبره بأنها هى التى كبحت اندفاعه ، لولا أن خشيت ثورته ، فآثرت الصمت ، وتركته يتابع فى انفعال :

ـ وهذا لايعنى أننى قد فقدت سيطرتى على الأمور .. كل مافى الأمر هو أن المعطيات قد تغيَّرت فجأة ، ومن الذكاء أن أعيد تنظيم الأمر ، بناءً على المعطيات الجديدة ، بحيث أستعيد مقاليد الأمور ، وأديرها بما يتفق مع أهدافى الرئيسية ، ومع خطة السيطرة العالمية فى الوقت ذاته .

راح يتحرك فى المكان بانفعال شديد ، مكملاً :

ـ المصريون قرَّروا الانتقال من خانة الدفاع إلى الهجوم ، فى محاولة لدفعنا إلى الانتقال بالتبعية من الهجوم إلى الدفاع ، ولكن رجال المخابرات الروسية أوقعوا بأحدهم ، فما الذى تتوقعين أن يفعلوه ، فى خطوتهم القادمة ؟!

غمغمت فى حيرة وحذر :

ـ ماذا ؟!



قال فى سرعة وحزم :

ـ أن يحاولوا إنقاذ زميلهم .

قالت مستنكرة :

ـ مستحيل ! إنهم يعلمون أن هذا أول ماسيعتمد عليه رجال المخابرات ، وأول ماسيستعدون لمواجهته ، والتصدِّى له ، وسيعدون كمينًا للمصريين لو حاولوا حتمًا .

أشار بسبَّابته ، قائلاً :

ـ لاتنسى أن المصريين يعتمدون على خبيرين متميزين بحق ، فى زمننا هذا : خبير تزييف وتزوير ، بإمكانه تقليد أية هوية ، حتى الهويات المغناطيسية المشفَّرة ، الخاصة برجال المخابرات الروسية . وخبير اتصالات عبقرى ، يستطيع اختراق كل نظم وشبكات الأمن الإليكترونية ، وتجنيدها أو تحييدها ، على نحو يفتح أمامه كل سبيل .

وتألَّقت عيناه عن آخرهما ، وهو يضيف بشغف :

ـ وكل ما علينا انتظاره ، هو اللحظة التى يبدأ فيها محاولة الاختراق هذه .

سألته فى اهتمام بالغ :

ـ وعندئذ ، ماذا سنفعل ؟!

تألقت عيناه أكثر ، ورسمت شفتاه ابتسامة وحشية عجيبة ، وهو يجيب :

ـ عندئذ سنعرف إجابة السؤال .. من منا يمتلك أفضل الخبراء ؟! من ؟!

قالها ، وانطلقت من أعماق حلقه ضحكة مخيفة ..

ضحكة وحشية شرسة ..

للغاية ..

* * *

دوار عنيف ذلك الذى شعر به ( علاء ) ، وهو يستعيد وعيه فى بطء ، فى تلك الزنزانة الصغيرة المحكمة ،



أسفل مبنى المخابرات الروسية ، على مقربة من ( الكريملين )(*) ..

وفى بطء ، راح عقله يستعيد الأحداث كلها ، دون أن يفتح عينيه ، أو يتحرك من مكانه ، على ذلك الفراش الضيق فى الركن ..

كان كل شىء يسير على ما يرام ، بعد نجاحه و( ريهام ) فى نسف مخازن النقد الثلاثة ، التابعة لمنظمة ( المافيا ) الروسية ، وتدمير ملايين الدولارات ، التى جنتها المنظمة فى أعمالها القذرة الحقيرة ..

انفصل هو و( ريهام ) ، وفقًا للخطة التى وضعها ( أدهم ) ، واتخذت هى طريقها إلى ذلك المنزل الآمن ، فى حين لعب هو دور الشاب الأعمى ، وهو يقطع شوارع ( موسكو ) بعصاه الخشبية ..

ثم استوقفه رجل المخابرات الروسى ..

---

(*) الكريملين : مجموعة من المبانى التاريخية ، فى سرة العاصمة ( موسكو ) ، تضم كاتدرائية ( أوسبنسكى ) ، وكاتدرائية ( أركانجلسكى ) ، وبرج الجرس ، والقصر الكبير ، الذى يستخدم كمقر للحكم ، إلى جوار مجموعة مبان أخرى لمكاتب الحكومة ، ومساكن كبار الموظفين ..

كان تفتيشًا روتينيًا ، فرضه توتر الموقف ، وكان قد تجاوز بالفعل تفتيشين آخرين بسلام ، مما منحه الكثير من الهدوء والثقة ، فبدا مبتسمًا ، هادئًا ، وهو يسلم رجل المخابرات أوراقه ، التى صنعها ( قدرى ) بأصابعه الذهبية العبقرية ، حتى صار من المستحيل على أى عين ، مهما بلغت دقتها أو خبرتها ، كشف زيفها ، أو حتى الشك فى أمرها ..

ولقد راجع رجل المخابرات الأوراق بالفعل ، وأعادها إليه ، وكاد كل شىء ينتهى فى سلام ، لولا مصادفة عجيبة ، لايمكن أن تحدث إلا واحدًا فى المليون ..

طفل صغير ، كان يلهو مع والديه ، على الرغم من الجليد الذى يغمر كل شىء ، وكان يحمل مصباحًا يدويًا كبيرًا ، فقفز فجأة ، وهو يطلق ضحكة طفولية عابثة ، ويطلق ضوء المصباح فى وجه ( علاء ) ، وقد جذبه منظاره الداكن المميَّز ..

ولأن الأمر كان مباغتًا ، ولايمكن توقُّعه على الإطلاق ، فقد جاء رد فعل ( علاء ) غريزيًا وتلقائيًا ، وهو يتراجع برأسه فى حركة حادة ، و ...



وانتبه رجل المخابرات الروسى إلى تلك الحركة الغريزية ، وأدرك معها أن ذلك الشاب الواقف أمامه ، لايمكن أن يكون أعمى ، بأى حال من الأحوال ، على عكس ما تؤكد أوراقه ..

وفى ظروف كهذه ، يبلغ فيها التوتر ذروته ، كان من الطبيعى أن يسحب رجل المخابرات الروسى مسدسه ، وهو يصرخ برجاله :

- انتباه .

وما حدث بعدها كان حتميًا بالتأكيد ..

لقد تحرك ( علاء ) فى سرعة ، ولكم رجل المخابرات الروسى فى أنفه ، ثم وثب إلى الأمام ، وركل المدفع الآلى ، من يد أحد رجاله ، قبل أن ينطلق بكل قوته ، محاولاً الفرار من المكان كله ..

ولكن رجال المخابرات ظهروا مع معاونيهم وجنودهم من كل صوب ، كما لو أن الأرض تفرزهم مع كل خطوة ..

وبكل قوته ، ومهاراته ، وتدريباته المكثفة ، قاتل (علاء) ..

وقاتل ..

وقاتل ..

حتى جاءت تلك الضربة القوية على مؤخرة عنقه ، و ....

ولم يستعد وعيه إلا داخل هذه الزنزانة ..

وعلى الرغم من أن وعيه قد استعاد صفاءه إلى حد كبير ، إلا أنه ظلّ راقدًا فى سكون ، وعقله يدرس الموقف كله ..

لقد سقط .

هذا أسوأ ما فى الأمر ..

فسقوطه سيعدّ نقطة ضعف كبرى فى خطة أستاذه ، التى تعتمد على إثارة غضب الكل إلى أقصى حد ، حتى يفقدوا السيطرة على أعصابهم ، وتتخبّط قراراتهم



وانفعالاتهم ، ويصبح من السهل توجيه ضربة قاضية إليهم ..

تمامًا مثلما يفعل ملاكم محترف ، مع خصم يفوقه حجمًا وقوة ..

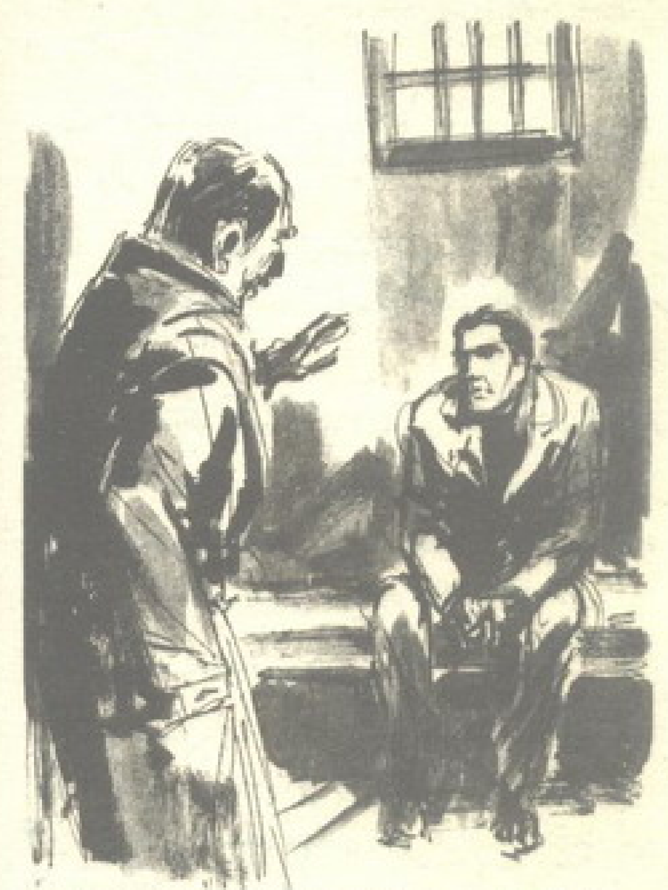
إنه يحاور ويناور ، ويستفز خصمه على الحلبة ، حتى يرهقه ، ويغضبه ، ويدفعه إلى القيام بحركة غير مدروسة ..

وعندئذ يستقبله بمهارة ، ويهوى على فكه بالضربة القاضية ..

وسقوطه فى قبضة الروس سيفسد العملية كلها حتمًا ، وأكثر ما يقلقه أن يسعى أستاذه لإنقاذه ، و ...

« إذن فقد استعدت وعيك أخيرًا .. »

قطع أفكاره صوت رجل المخابرات الروسى (ليبروسكى) الساخر ، وهو يقف عند باب الزنزانة ، ففتح عينيه ، واعتدل يجلس على فراشه ، قائلاً فى هدوء رصين ..



قطع افكاره صوت رجل المخابرات الروسى ( ليـبروسكى ) الساخر ، وهو يقف عند باب الزنزانة . .

ـ لقد استعدت وعيى منذ ربع الساعة تقريبًا .

أجابه ( ليروسكى ) فى حسم :

ـ نعم هذا .. لقد رصدت أجهزتنا عودتك إلى وعيك .

ثم ابتسم فى ظفر ، وهو يشير إلى ما حوله ، مستطردًا :

ـ فهذه الزنزانة التى تجلس فيها ، زنزانة من طراز خاص جدًا ، لو أنك لاحظت هذا ؛ فهى مزوَّدة بنظم تكنولوجية متطوِّرة للغاية ، بحيث ترصد أنفاسك وهمساتك ، وبابها من مادة مضادة للرصاصات والنيران ، وحتى القنابل اليدوية ، ولايمكن فتحه إلا بوساطة شفرة إليكترونية خاصة ، أما الممر الذى تقع فى نهايته الزنزانة ، فهو مؤمَّن بوسائل رصد من كافة الأنواع ، فهو يرصد الأصوات ، والحركة ، والتغيرات الحرارية أيضًا ، بحيث لايمكن أن يعبره مخلوق ، إلا لو تم تسجيله مسبقًا ، وتحت رقابة أربع كاميرات دقيقة ، يراقبها طاقمان من أطقم الأمن ، طوال الأربع والعشرين ساعة .

وضع (علاء) إحدى ساقيه فوق الأخرى ، وهو يقول فى لامبالاة :

ـ وما المطلوب منى الآن ؟! أن أنبهر بما سمعته ، حتى تضعف مقاومتى عند استجوابى بعنف !

رفع (ليبروسكى) حاجبيه فى دهشة مصطنعة ، وهو يقول :

ـ استجوابك بعنف ؟! ولماذا يارجل ؟!

ثم مال نحوه ، مستطردًا فى سخرية :

ـ إننا حتى لن نحاول استجوابك على الإطلاق .

ظهر تساؤل متوتر فى عينى (علاء) ، فأطلق (ليبروسكى) ضحكة عالية ظافرة ، وهو يتراجع معتدلاً ، قبل أن تتألق عيناه ، وهو يقول :

ـ إننا ندرك جيدًا أن شخصًا مثلك لن ينهار ويعترف أبدًا ، مهما تعرّض للضغط أو القهر أو التعذيب ، فأمثالك يفضلون الموت على خيانة رفاقهم ، و(أدهم صبرى)



لم يكن ليضمك إلى أوّل فريق يقوده ، لو لم يكن واثقًا من هذا .

وتألّقت عيناه أكثر وأكثر ، وهو يعاود الميل ، مضيفًا :

ـ لقد أتينا بك إلى هنا ، فقط لنستثير خيال رفاقك .

سأله (علاء) فى حذر :

ـ تستثيرون خيالهم ؟! وما الذى يمكن أن يعنيه هذا بالضبط ؟!

أطلق (ليبروسكى) ضحكة أخرى ، قائلاً :

ـ أن يسعوا لإنقاذك .

ثم غادر الزنزانة ، مضيفًا وهو يوليه ظهره :

ـ هذا كل ما نريده منهم .

انعقد حاجبا (علاء) فى شدة ، و(ليبروسكى) يغلق خلفه باب الزنزانة ، ذى الرتاج الإليكترونى الشفرى المعقّد ..

هذا ما يريدونه بالتأكيد ..

وما يخشاه هو ..

حتى النخاع ..

* * *

« هذا لا يروق لى أبدًا .. » ..

هتف الجنرال (كواليسكى) بالعبارة فى عصبية شديدة ، وهو يقف أمام (يورى إيفانوفيتش) ، داخل قاعة الممثلين بالمسرح القديم ، فى قلب (موسكو) ، ثم ألقى نظرة متوترة على (زوشا) ، التى تقف معقودة الساعدين ، على مسافة متر واحد منه ، وقد بدت عضلاتها المفتولة مخيفة ، وغير متناسقة مع جمالها الساحر ، قبل أن يضيف بنفس العصبية :

- إنك تتصرّف وكأنك القائد الفعلى ، الذى يحكم ويدير كل خطواتنا ، فى المخابرات الروسية .

ابتسم ( يورى ) فى برود ، ونفث دخان سيجارته فى عمق ، قبل أن يقول :



- لو أنكم بالذكاء الكافى ، لما احتاج الأمر لتدخلُّى يا جنرال .

هتف (كواليسكى) فى غضب :

- كف عن غرورك هذا يا (يورى ) .. إنك تتحدث عن أقوى جهاز أمنى فى ( آسيا ) و( أوروبا ) معًا .

قال ( يورى ) فى سرعة :

- وعلى الرغم من هذا ، فقد كدتم ترتكبون بعض الأخطاء القاتلة ، من فرط غضبكم وتسرّعكم ، لولا أن تدخلت أنا ، لأعيد الأمور إلى نصابها ، ولاتنس أن الفضل سينسب لكم فى النهاية .. أمام رؤسائكم على الأقل .

انعقد حاجبا الجنرال (كواليسكى) فى عصبية ، وهو يقول :

- مازلنا نختلف فى أمور جوهرية ، فمازلت أصرّ على أنه كان من الضرورى أن نعتقل تلك المذيعة (ناديا ) ، وأن نستجوبها بمنتهى العنف والصرامة ؛

لتدرك أنها قد ارتكبت خطأ فادحًا ، عندما استضافت ، وعلى الهواء مباشرة ، عدوًا للشعب الروسى كله .

هزّ ( يورى ) رأسه نفيًا ، وهو ينفث دخان سيجارته فى قوة ، ثم قال :

ـ خطأ يا جنرال .. خطأ وألف خطأ ..

ثم نهض من مقعده ، وراح يدور حول الرجل ، متابعًا فى حزم :

ـ من الواضح أن ( أدهم صبرى ) قد انتابته لوثة إعلامية مفاجئة ، جعلته يعتمد على العلانية ، فى خطواته المقبلة ، ولو أننا نرغب فى الظفر به حقًا ، فمن الخطأ أن نثير ذعر (ناديا) ، أو نسحق عزيمتها على هذا النحو .. لقد استجوبتموها لمعرفة كيف التقت بـ(أدهم) ، وكيف انتقل معها إلى استوديوهات التصوير الخارجية ، وهو متنكر فى هيئة أخرى .. وهذا يكفى ؛ ليبدو الأمر منطقيًا طبيعيًا ، دون إسراف يمنعها من الاستجابة لاتصالاته بها ، فى المرات القادمة ، لو قرّر مد خطته الإعلامية هذه .



مطّ ( كواليسكى ) شفتيه ، مغمغمًا فى سخط :

ـ هذا لا يروق لى .

عاد ( يورى ) إلى مقعده ، وألقى سيجارته فى ركن القاعة ، وهو يعقد حاجبيه ، قائلاً فى صرامة :

ـ ولكنك ستنفذ أوامرى يا (جنرال) .. أليس كذلك ؟!

احتقن وجه (كواليسكى) ، وهو يقول فى توتر بالغ :

ـ وهل لدى بديل آخر ؟!

أشار إليه ( يورى ) بسبابته ، قائلاً فى غلظة :

ـ بالضبط .. ليس لديك بديل آخر .. أى بديل .

غمغم ( كواليسكى ) فى عصبية شديدة :

ـ بالتأكيد .

ثم تساءل فى عصبية أكثر :

ـ وماذا عن ذلك الأسير ؟! هل ستتدخل فى أمره أيضًا ؟!

قال ( بورى ) فى برود :

- إنه أسيركم .

ثم استدرك فى سرعة وصرامة :

- ولكن (ليبروسكى) يعلم ما ينبغى فعله بشأنه .

احتقن وجه (كواليسكى) فى شدة ، وهو يهتف :

- ( ليبروسكى ) ؟! هل تريد أن تقول : إن مساعدى الأول يعـ ...

قاطعه (بورى) فى صرامة ، وهو يلوّح بالأسطوانة المدمجة ، التى تحوى قائمة المتعاونين :

- يعمل لحسابنا مثلك .. نعم يا جنرال .. هو وأكثر من عشرين رجلاً آخر ، من مختلف الرتب والمناصب .. أنت تعلم هذا جيدًا .. أليس كذلك ؟!

قال (كواليسكى) فى غضب عصبى :

- كان ينبغى أن تخبرنى .



هبَّ ( بورى ) من مقعده ، وهو يصرخ بغضب هادر :

- لا أحد يملى شروطه على (بورى إيفانوفيتش) .. هل تفهم ؟!

امتقع وجه (كواليسكى) ، وهو يغمغم :

- أفهم يا سيِّد (بورى) .. أفهم بالتأكيد .

أشعل (بورى) سيجارة أخرى ، نفث دخانها فى وجه (كواليسكى) مباشرة ، وهو يقول فى صرامة شرسة :

- مادمت تفهم ، عد إلى عملك إذن ، وتظاهر بأنك تناضل فى سبيل كرامة (روسيا) وأمنها ، ولكن لاتنس لحظة واحدة أنك تعمل لحسابى أنا .. لحساب (بورى إيفانوفيتش) .

عضَّ ( كواليسكى ) شفته السفلى ، وهو يتمتم فى عصبية مريرة :

- وكيف يمكننى أن أنسى ؟!

أمسكت (زوشا) ذراعه ، قائلة فى صرامة :

- هيا يا جنرال .. لقد انتهت المقابلة .

تركها الرجل تقوده إلى الخارج فى استسلام ذليل ، فى حين حاول (يورى) أن يسترخى فى مقعده الوثير ، وهو ينفث دخان سيجارته فى بطء ، حتى عادت إليه (زوشا) ، قائلة فى حذر :

- (يورى) .. لاتغضب منى ، ولكنك تسرف كثيرًا فى التدخين هذه الأيام .

غمغم ، وهو غارق فى تفكيره العميق :

- ربما .

ثم رفع عينيه إليها ، مستطردًا فى حزم مباغت :

- أريد الجنرال (فاسيلوف) .. اتصلى بـه فورًا ، وأخبريه أننى أريد مقابلته ، فى أقرب وقت ممكن .. حددى لـه موعدًا بعد ساعة واحدة ، فـى موقعنـا الجديد .



سألته فى قلق :

- ما الذى تخططُ له بالضبط ؟!

أشار بيده فى شرود ، قائلاً :

- فى موقف كهذا ، ومع حمقى تصعب السيطرة عليهم ، الأفضل أن يتحرك المرء بأقصى سرعة ممكنـة ، لبلوغ ما يسعى إليه .

تساءلت فى حذر :

- الإيقاع بالمصريين ؟!

تألقت عينـاه على نحو بعث فى نفسـهـا الخوف ، وهو يجيب :

- بل السيطرة على العالم .

نطقها بصرامـة وحشية ، تشير إلى أن الساعات القادمة ستشهد أمورًا قد تغيِّر وجه العالم كله .. إلى الأبد ..

* * *

أدار (شريف) عينيه عن شاشة الكمبيوتر النقّال ، وتطلّع إلى (أدهم) مباشرة ، وهو يقول فى توتر :

ـ كل البيانات الخاصة بزنزانة (علاء) موجودة على شبكة المعلومات السرية ، الخاصة بالمخابرات الروسية .

انعقد حاجبا (أدهم) فى شدة ، وداعب ذقنه بسبّابته فى تفكير عميق ، فى حين تساءلت (ريهام) فى قلق :

ـ أأنت واثق من أنهم لا يستطيعون تعقُّب موقعنا ، إذا ما رصدوا تسللك إلى شبكتهم السرية ؟!

هزّ رأسه نفيًا ، وهو يقول :

ـ البرنامج الذى ابتكرته يجعلنى أصنع شبكة وهمية من الاتصالات قبل أن أقتحم شبكة معلوماتهم ، بحيث تقودهم محاولة التعقّب إلى هواتف فى (آسيا) ، و(أوروبا) ، وحتى الولايات المتحدة الأمريكية ، على نحو عشوائى مربك ، قبل أن يتوصّلوا إلى خط الاتصال الفعلى ، وأنا أعمل بحيث لا أمنحهم الوقت الكافى للوصول إليه ، فى كل مرة .



تنهّدت ( منى ) ، قائلة فى أسىً :

ـ أتعشّم ألا يسيئوا معاملته هناك .

هزّ ( أدهم ) رأسه ، قائلاً :

ـ لست أظنهم يمسونه بسوء .

نطقها ، وهو غارق فى تفكيره العميق ، فتطلع إليه شقيقه الدكتور ( أحمد ) فى صمت ، دون أن يعلّق ، فى حين تمتم ( قدرى ) فى مرارة عصبية :

ـ لماذا يحتفظون به إذن ؟!

استدار إليه ( أدهم ) ، قائلاً فى حزم :

ـ هذا هو السؤال .

ثم استعاد تفكيره العميق ، مضيفًا :

ـ السؤال الثانى هو : كيف يضعون هذه المعلومات على شبكتهم السرية ، وهم يدركون أننا نستطيع اختراقها ؟!

سألته ( منى ) فى قلق :

ـ هل تعتقد أنه فخ ؟!

أجابها فى حزم :

ـ ألديك أدنى شك فى هذا ؟!

بدا القلق على وجوههم جميعًا ، فقال ( أسعد ) ، وهو ينهض من مقعده :

ـ باستطاعتى جمع بعض المعلومات ، و ...

قاطعه ( أدهم ) :

ـ كلاً .. لقد أصبحت وجهًا مألوفًا ومطلوبًا لهم ، بعد أدائك دور الديبلوماسى الأمريكى .

عاد ( أسعد ) يجلس ، قائلاً فى توتر :

ـ هل سنتركه لديهم إذن ؟!

هزّ ( أدهم ) رأسه نفيًا ، وهو يقول :

ـ إنهم واثقون تمامًا من أننا لن نفعل .

وصمت لحظة ، ثم أضاف بنفس التفكير العميق :



ـ وهذا ما يبنون عليه خطتهم كلها .

بدا لهم الأمر معقدًا ، عسيرًا إلى أقصى حد ، فشملهم صمت رهيب ، وكل منهم يتطلع إلى الآخرين ، قبل أن يغمغم ( شريف ) فى توتر :

ـ لو نجحت فى اختراق شبكة أمنهم الداخلية ، فسيمكننى إبطال عمل كل نظم الأمن هناك ، و ...

قاطعه ( أدهم ) فى حزم :

ـ وهذا ما يتوقعونه منك بالضبط .

ثم اتجه إلى مقعد كبير ، مواجه للنافذة ، وهو يضيف :

ـ ولا ينبغى أبدًا أن نفعل ما يمكنهم توقُّعه .

سألته ( منى ) فى حيرة يائسة :

ـ ماذا يمكن أن نفعل إذن ؟!

أشار بيده ، وهو يستقر على المقعد ، ويوليهم ظهره ، متمتمًا :

ـ هذا ما أبحث عنه .

قالها ، وأسبل جفنيه ، وترك جسده يسترخى فى المقعد الوثير ، على عكس عقله ، الذى راح يعمل بسرعة الصاروخ ، بحثًا عن حل للخروج من هذه الأزمة ..

أما الآخرون ، فقد عاد الصمت الثقيل الرهيب يخيِّم عليهم ، وهم يتطلعون إليه ، وفى عقولهم يعربد سؤال واحد مخيف ..

هل توجد وسيلة للنصر هذه المرة ؟!

هل ؟!

* * *





## ٦ ـ الخطة ..

لم تكد تلك البرقية الشفرية السرية تصل من ( موسكو ) ، عبر قناة اتصال خاصة مؤمَّنة ، حاملة توقيع ( أدهم صبرى ) ، حتى تم ترجمتها فورًا ، وإرسالها إلى مدير المخابرات العامة المصرية شخصيًا ، وفقًا لآخر التعليمات الرسمية ..

وفى مكتبه ، طالع المدير البرقية فى اهتمام شديد ، قبل أن يقول لنائبه فى قلق :

ـ الأمور تتطورّ بسرعة فى ( موسكو ) ، والموقف يزداد خطورة وتعقيدًا ، على نحو مقلق .

قال نائبه ، وهو يشير إلى تقرير آخر :

ـ من الواضح أيضًا أن ( المافيا ) الروسية تعمل بكل قوتها ، فهذا التقرير يشير إلى أن بعض المنتمين إليها قد استأجروا ( فيليب أندرسن ) عبقرى الكمبيوتر

والاتصالات الفنلندى ، والمستشار الإليكترونى الأوَّل لشركة (نوكيا) ، ومنحوه مبلغًا ضخمًا ، ذا ستة أصفار ، مقابل يومين من عمل لم يُفصح عن طبيعته بعد ، ولكنهم حملوه بطائرة خاصة ، يملكها أحد كبار زعماء (المافيا) ، إلى (موسكو) مباشرة ، وخبراؤنا يعتقدون أنه سلاح جديد ؛ لمواجهة خبيرنا (شريف) ، الذى يعمل ضمن فريق سيادة العميد (أدهم) .

انعقد حاجبا المدير بشدة ، وهو يغمغم :

ـ (فيليب أندرسن) شخصيًا ؟! من الواضح أن (المافيا) قد أدركت طبيعة الصراع ، وقرَّرت أن تقتحمه بكل ثقلها ، بعد أن تسبَّب (ن ـ ١) فى خسارتها لكل تلك الملايين .

أومأ نائبه برأسه إيجابًا ، وهو يقول :

ـ هذا صحيح .. طبيعة هذا العصر تضع التكنولوجيا والاتصالات على قمة أسلحة الصراع .

مطَّ المدير شفتيه ، وهو يعاود قراءة برقية (أدهم) ، قبل أن يقول فى حزم :



ـ أصدر الأوامر لكل رجالنا فى (موسكو) ؛ بجمع كل المعلومات التى يطلبها (ن ـ ١) ، وبأسرع وسيلة ممكنة .

أسرع النائب يلقى التعليمات ، ويصدر الأوامر المطلوبة ، عبر مجموعة من البرقيات الشفرية السرية ، فى حين التقط المدير تقريرًا آخر ، ورد حديثًا من (باريس) ، وراح يقرؤه فى عناية ، حتى عاد إليه نائبه قائلاً :

ـ لقد بدأت عملية جمع المعلومات بالفعل .

أشار إليه المدير بالتقرير ، قائلاً :

ـ هل طالعت هذا ؟!

أومأ النائب برأسه إيجابًا ، وقال :

ـ نعم .. ولقد أدهشنى فى الواقع ، على الرغم من أن كل الشواهد كانت تشير إلى النتيجة نفسها .

هزَّ المدير رأسه ، قائلاً :

- العجيب أن هذا شعورى أيضًا ، عندما طالعت ما توصل إليه معمل الفحص الجينى فى ( باريس ) ، والذى يؤكد أن الأشلاء التى تخلفت عن انفجار تلك السيارة هناك ، تخص ( سونيا جراهام ) بالفعل ، وعلى نحو لايمكن أن يتطرق إليه الشك(*) ..

قال النائب ، مشيرًا بيده :

- لقد أدهشنى أن تلقى أفعى ( الموساد ) السابقة هذه مصرعها ، على هذا النحو العنيف ، وكأنما كنت أتصورها خالدة لاتموت .

تنهّد المدير ، قائلاً :

- لكل شىء نهاية .

ثم سأل فى اهتمام :

- ولكن ما مصير ابن ( أدهم ) ، فى هذه الحالة(**) ؟! أعنى بعد مصرع أمه ، وجهل والده لمكانه !!

---

(*) راجع قصة ( الأبطال ) .. المغامرة (١٣٤) .

(**) راجع قصة ( اللمسة الأخيرة ) .. المغامرة رقم (١٢٤) .



هزّ النائب رأسه فى أسف ، مغمغمًا :

- الله ( سبحانه وتعالى ) وحده أعلم .

قال المدير فى حزم :

- لاينبغى أن نقف ساكنين أمام هذا .. من حق ( ن - ١ ) أن نعمل على إعادة ابنه إليه ، بعد أن تأكد مصرع ( سونيا جراهام ) .

ثم تراجع فى مقعده ، مستدركًا :

- ولكن بعد أن نعيد إلينا ( ن - ١ ) نفسه .

سأله نائبه فى اهتمام قلق :

- هل تعتقد أنه سيسعى بالفعل لإنقاذ النقيب ( علاء ) ؟!

مطّ المدير شفتيه ، وهزّ رأسه قائلاً :

- ما من قوة فى الأرض يمكنها منعه من هذا .

قال النائب فى قلق أكثر :

- ولكن الروس يدركون هذا أيضًا ، وسيكونون فى انتظاره حتمًا .

أومأ المدير برأسه إيجابًا ، وهو يغمغم :

ـ ما من شك فى هذا .

وشرد ببصره وتفكيره بضع لحظات ، قبل أن يضيف فى حزم :

ـ ولكن (ن ـ ١) ليس مبتدئًا ، وهو يدرك كل هذا جيدًا ، ومن المؤكد أنه سيضرب ضربته بأسلوب لايمكن أن يتوقعه أحد أبدًا .

غمغم نائبه :

ـ كل الأساليب يمكن أن تتوقعها أجهزة المخابرات ؛ فلديهم مثلنا خبراء فى كل المجالات ، وعقول يمكنها استنتاج ما لا يمكن أن يخطر ببال الشخص العادى .

أجابه المدير فى حزم أكثر :

ـ ( ن ـ ١ ) يدرك هذا أيضًا .

ثم تراجع فى مقعده ببطء ، وشبك أصابع كفيه أمام وجهه ، والتقى حاجباه فى تفكير قلق ، وهو يضيف :



ـ وهذا مايجعلنى أتساءل : ماذا يمكن أن يفعل (ن ـ ١) ، فى موقف كهذا ؟!

نعم .. هذا هو السؤال ..

ماذا يمكن أن يفعل ( أدهم ) ، فى موقف كهذا ؟!

ماذا ؟!

* * *

حدق (شريف) مبهورًا فيما يصنعه (قدرى) ، وتابع أصابعه الذهبية ، وهى تؤدى عملها بمهارة ودقة مذهلتين ، قبل أن يسأله مشدوهًا :

ـ كيف يمكنك أن تفعل هذا ؟!

أجابه (قدرى ) ، وهو منهمك فى عمله :

ـ كل شىء فى الوجود ينمو مع الخبرة والمران .

هتف ( شريف ) مبهورًا :

ـ ولكنك موهوب أيضًا ، وإلى حد مدهش .



حدّق ( شريف ) مبهورًا فيما يصنعه ( قدرى ) ، وتابع أصابعه الذهبية ، وهى تؤدى عملها بمهارة ..

توقّفت أصابع ( قدرى ) عن العمل دفعة واحدة ، والتفت إلى ( شريف ) ، قائلاً :

- هل يثير الأمر اهتمامك إلى هذا الحد ؟!

هتف ( شريف ) فى حماسة :

- بل يثير انبهارى ، لو شئت الدقة .

تطلّع إليه ( قدرى ) بضع لحظات فى صمت وتفكير ، قبل أن يقول فى اهتمام :

- أنا أيضًا راقبت عملك ، وانبهرت به كثيرًا ؛ فعلى الرغم من أن الكمبيوتر قد صار جزءًا مهمًّا من عملى ، ومن المحتم أن أجيد التعامل معه ، إلا أن كل ما أفعله به لا يتجاوز قطرة ، مما تفعله أنت به .

قال ( شريف ) فى حماسة :

- إنه فارق توقيت فقط يا سيّد ( قدرى ) ، فأنت بدأت التعامل مع الكمبيوتر ، بعد سنوات من العمل اليدوى والعقلى ، أما أنا فقد بدأت أعتاده ، وأنا بعد فى العاشرة من عمرى ، والجيل الأصغر يتعامل معه

منذ نعومة أظفاره ، وأنت تعلم المثل الشهير الذى يقول : « التعليم فى الصغر كالنقش على الحجر .. »

ابتسم (قدرى) قائلاً :

ـ أسلوب لبق لتهوين الأمر على كهل مثلى ، ولكن الواقع أنك عبقرى موهوب بحق .

تهللت أسارير (شريف) ، وهو يهتف :

ـ أهذا رأيك حقًا ؟!

تجاهل (قدرى) السؤال عن غير عمد ، وهو يسأله فى اهتمام :

ـ قل لى : هل تستهويك عملية النسخ والتقليد هذه ؟!

هتف ( شريف ) فى حماس :

ـ بشدة .

مال ( قدرى ) نحوه ، قائلاً فى جدية :

ـ عظيم .. هذا ما كنت أنتظره منذ زمن طويل .



ردد ( شريف ) ، فى حيرة متسائلة :

ـ ما كنت تنتظره ؟!

تابع ( قدرى ) بنفس الجدية والاهتمام ، وكأنه لم يسمعه :

ـ فى رأيى ، أن الزمن القادم هو زمن الكمبيوتر والتكنولوجيا المتطوِّرة ؛ فبطاقات الهوية لم تعد ممغنطة ومشفرة فحسب ، بل صارت أشبه بالهواتف المحمولة ، التى تتصل بالأقمار الصناعية ، وشبكات الإنترنت ، ونظم الأمن الإليكترونية[*] .. وفى غضون سنوات قليلة ، لن تعود هناك حاجة أو قيمة للمهارات اليدوية فى مضمارنا هذا ، بقدر ما سيحتاج الأمر إلى خبراء فى الكمبيوتر والاتصالات .

وتسللت نبرة حزن إلى صوته ، وهو يضيف :

ـ باختصار .. الزمن القادم هو زمنكم أنتم .

هتف ( شريف ) ، فى حماسة حقيقية :

(*) حقيقة ..

- محال .. العباقرة أمثالكم لاينتهى زمنهم أبدًا .

أشار ( قدرى ) بيده ؛ قائلاً فى توتر :

- دعك من هذه المجاملات ، واستمع إلىّ جيدًا .

ثم مال نحوه ، مستطردًا فى حزم :

- عندما تنتهى هذه الأزمة ، وتنقشع الغمة ، وإذا ما بقينا على قيد الحياة ، فسأعتبرك تلميذى ، وأعدك لتتولّى زمام الأمر من بعدى .

هتف ( شريف ) مبهورًا :

- حقًا ؟!

ثم استدرك فى سرعة :

- ولكننى أصرُّ على أنك ستظلّ على القمة .

ابتسم (قدرى) ، وهو يتطلّع إليه لحظة فى حنان ، ثم لم يلبث أن عاد إلى ما كان يصنعه ، وعادت أصابعه الذهبية تغزل عملها شديد الإتقان ، وهو يقول فى صرامة مباغتة :



- الدرس الأوّل .. لا تنافق معلمك أبدًا .

أجابه ( شريف ) ، فى سرعة وصدق :

- أنا لم أفعل قط .

ومرة أخرى ، ابتسم ( قدرى ) فى حنان جارف ، وقد نما فى أعماقه شعور لم يعرفه قلبه بحق من قبل قط ..

شعور الأبوّة ..

وفى نفس اللحظة ، التى ملأ فيها هذا الشعور كيانه ، كانت ( منى ) تراقب ( أدهم ) ، الذى يؤدى عمله أيضًا بمنتهى الدقة والإتقان ، قبل أن تسأله فى حذر :

- إنها جميلة .. أليس كذلك ؟!

سألها ، وهو منهمك فى عمله :

- من هى ؟!

قالت فى غيرة واضحة :

ـ مذيعة التليفزيون .. ( ناديا فيدروفيتش ) .

توقف عن عمله ، والتفت إليها ، يسألها في دهشة :

ـ وما الذي ذكرك بها الآن ؟!

قالت في شيء من العصبية :

ـ لم تكن هناك فرصة أخرى لسؤالك عنها ، منذ عودتك من ذلك اللقاء معها .

تطلّع إليها لحظة في صمت ، قبل أن يعاود عمله ، مجيبًا في هدوء :

ـ لست أظنهم ينتقون مذيعات التلفاز من القبيحات .

لم ترق لها إجابته غير المباشرة ، فتركت لعصبيتها العنان ، وهي تقول :

ـ ألم يكن هناك مكان آخر للقائكما الأول ، بخلاف حجرة نومها ؟!

أجابها بنفس الهدوء ، وهو يواصل عمله :



ـ كان هذا أفضل ما يصنع التأثير المطلوب ؛ فهي تستخدم جهازًا متطورًا لحماية منزلها من الدخلاء ، وعندما تفتح عينيها لتجدني أمامها ، ستدرك على الفور أنها تتعامل مع جهة قوية ..

خُيّل إليه ، من طول صمتها ، أنها ستكتفي بهذا القدر ، إلا أنها لم تلبث أن سألته مرة أخرى ، ورنة الغيرة تعود أكثر وضوحًا إلى صوتها ولهجتها :

ـ وماذا كانت ترتدي هناك ؟!

أجابها ، وصوته يكتسب شيئًا من الصرامة :

ـ ما يرتديه الناس عادة في حجرات نومهم .

تساءلت في توتر :

ـ وهل كان ..

التفت إليها بصرامة مفاجئة ، قائلاً :

ـ ( منى ) .. هل تدركين ما نحن بصدده بالضبط ؟!

أومأت برأسها إيجابًا ، وقاومت دمعة تجاهد للفرار من عينيها ، وهي تقول :

ـ بالتأكيد .

عاد إلى عمله ، وهو يقول بنفس الصرامة :

ـ عظيم .. تصورت لحظة أنك قد نسيت هذا .

شعرت أنها تقاتل ؛ لمنع تلك الدمعة من الفرار باستماتة ، فأشاحت وجهها لتترك لها العنان ، وهى تغمغم :

ـ ألم تصل المعلومات من ( القاهرة ) بعد ؟!

لاحظ تلك الرنة الباكية فى صوتها ، ولكنه اعتصر قلبه لتجاهلها ، وهو يجيب :

ـ ليس بعد .

سألته وهى تمسح دمعتها ، وتجاهد لاستعادة طبيعتها :

ـ لست أدرى لماذا لانحصل على المعلومات من رجالنا هنا مباشرة ، بدلاً من إرسالها إلى ( القاهرة ) ، ثم إعادتها إلينا هنا .



أجابها ، وهو يضع اللمسات الأخيرة لعمله المتقن :

ـ إنه أسلوب مثالى للتأمين ، فلو انكشف أمر أحد رجالنا مصادفة ، وتم تعقبه ، فسيكشف الروس أو رجال ( المافيا ) منزلنا الآمن ، مما يفقدنا أقوى مزية فى هذا الصراع غير المتكافئ ، وهى أننا نعرف أين هم ، وهم يجهلون أين نحن ، أما عندما تأتينا المعلومات من ( القاهرة ) ، فهى تأتى مؤمَّنة :

ثم نهض ، مضيفًا :

ـ ومن المؤكد أن وصول المعلومات التى طلبتها سيغيِّر الأمور كثيرًا ، فى المرحلة القادمة من الصراع .

وصمت لحظة ، ثم أكمل فى حزم :

ـ لو أن هناك مرحلة قادمة .

وانتفض قلب ( منى ) بين ضلوعها فى عنف مع عبارته هذه ..

فلأنها تدرك مدى ما سينطوى عليه عمله القادم من مخاطرة هائلة ، كانت تشعر بقلق وخوف يسيطران على كل ذرة من كيانها ..

وفى أعمق أعماقها ، وعبر غريزة الأنثى المسيطرة على كيانها ، راودها شعور قوى بأن المرحلة القادمة لن تمضى بسلام ..

لن تمضى كذلك ..

أبدًا ..

* * *

انعقد حاجبا الجنرال ( فاسيلوف ) فى شدة ، وهو يحدّق فى وجه ( يورى ) بدهشة مستنكرة ، هاتفًا :

ـ الآن ؟!

أومأ ( يورى ) برأسه إيجابًا ، وهو ينفث دخان سيجارته القوية ، قائلاً فى صرامة شديدة :

ـ نعم .. الآن يا جنرال .. سنبدأ فى تنفيذ مغامرتنا الكبرى الآن .



تراجع (فاسيلوف ) فى مقعده ، قائلاً فى استسلام :

ـ الأمر ليس هيّنًا أيها الزعيم .. كل شىء فى مخازن الغاز يتم بمنتهى الدقة ، وبأوامر رسمية مباشرة ، والكميات التى تطلبها لا يمكن أن تخرج دون أن يشعر بأمرها عشرة رجال على الأقل .

سأله ( يورى ) فى صرامة :

ـ وكم يبلغ ثمن هؤلاء الرجال العشرة ؟!

بدا التوتر على وجه ( فاسيلوف ) ، وهو يقول :

ـ هذه الأمور لا تدار على هذا النحو أيها الزعيم .

كرّر ( يورى ) فى صرامة وحشية هذه المرة :

ـ كم يبلغ ثمنهم ؟!

صمت ( فاسيلوف ) بضع لحظات ، فى محاولة للسيطرة على أعصابه ، قبل أن يقول فى حزم :

ـ ليس من الضرورى أن يكون لكل شخص ثمنه .

قال ( يورى ) فى حدة :

ـ الحياة علمتنى أن لكل شخص فى الوجود ثمنًا .

اندفع الجنرال ( فاسيلوف ) ، قائلاً فى صرامة :

ـ أعتقد أن الكولونيل (سيرجى كوربوف) قد خالف هذه القاعدة .

لم يكد الجنرال (فاسيلوف) ينطقها ، حتى شعر بالندم على كل حرف خرج من بين شفتيه ، مع ذلك الانقلاب الشيطانى الرهيب ، فى سحنة (يورى إيفانوفيتش) ، الذى هبَّ من مقعده بحركة حادة ، واندفع نحو الجنرال ، فهتفت (زوشا) فى توتر :

ـ الرجل لم يكن يعنى ما ..

قاطعها (يورى) ، وهو يميل نحو الجنرال بحركة أجبرت هذا الأخير على التراجع فى توتر ، وزعيم (المافيا) الروسية الجديد يصرخ فى وجهه :

ـ الكولونيل ( كوربوف ) كان ثمنه بضعة جرامات من الـ (C4) .



حدَّق الجنرال ( فاسيلوف ) فى وجهه لحظة فى توتر بالغٍ ، قبل أن يزدرد لعابه ، قائلاً فى خفوت ، وهو يتطلع إلى عينيه مباشرة :

ـ فهمت .

ظلَّ الموقف جامدًا بينهم لحظة ، شعرت (زوشا) خلالها بكل توتر الدنيا ، قبل أن يتراجع (يورى) ، قائلاً فى حماسة ، وكأنما تلاشت كل انفعالاته دفعة واحدة :

ـ سنحتاج فى البداية إلى كميات محدودة ، تكفى كل منها للقضاء على قرية صغيرة فحسب .. هل يمكنك تدبير هذا ، فى وجود الرجال العشرة ، الذين تتحدث عنهم ؟!

تنحنح (فاسيلوف) ليسترد جأشه ، قبل أن يجيب :

ـ يمكننى تدبير هذا ، ولو ببعض استمارات الصرف الزائفة ، ولكن المشكلة أنه لو تحدث أحدهم ، فربما يجذب إلينا انتباه وشكوك رجال الأمن ، وهذا قد يفسد العملية كلها .

التقى حاجبا (بورى) ، وراح ينفث دخان سيجارته فى عصبية ، وهو يدرس هذا الاحتمال الجديد ، قبل أن يقول فى صرامة :

ـ فليكن .. سنتعامل مع الأمر من الزاوية العسيرة .

ثم عاد إلى مقعده ، مستطردًا بلهجة آمرة :

ـ سأمنحك ثلاث ساعات فحسب ، لتحديد موقف هؤلاء الرجال العشرة .

هتف ( فاسيلوف ) معترضًا :

ـ ثلاث ساعات فحسب ، هذا يحتاج إلى ..

قاطعه (بورى) بإشارة صارمة قاسية من يده ، قبل أن يتابع بنفس اللهجة الآمرة :

ـ كل ما أريدهَ منك هو تحديد أمر واحد ، بالنسبة لكل منهم .. هل يمكن شراؤه أم لا .. وأعطنا قائمة بأسماء غير المتعاونين ؛ لنضمن ألا يمثلوا لنا أية عقبة ، عندما تحين اللحظة المناسبة .



سأله ( فاسيلوف ) فى حذر :

ـ وكيف يمكن أن تضمن هذا ؟

تألقت عينا (بورى) فى شراسة ، وهو يتطلع إليه فى سخرية ، قائلاً :

ـ ألم تفهم حقًا ؟!

امتقع وجه ( فاسيلوف ) لحظة ، قبل أن يغمغم :

ـ بل أفهم .

التقط ( بورى ) نفسًا عميقًا من سيجارته ، قبل أن يقول فى صرامة :

ـ هيا .. اذهب لتفعل ما أمرتك به .

أطاعه الجنرال فى استسلام ، وغادر المكان صاغرًا ، فالتفتت ( زوشا ) إلى (بورى) ، متسائلة فى حيرة :

ـ كنت أظنك ترغب فى الحصول على مخزن غاز الأعصاب هذا ، بأكبر قدر ممكن من الضجيج !

هزّ كتفيه ، ونفث دخان سيجارته ، قائلاً :

ـ هذا أمر طبيعى ، فالضجة التى ستصنعها سرقة

أطنان الغاز السام ، وغاز الأعصاب القاتل ، هى التى ستجعل لعمليتى قيمتها وشهرتها ، وهى التى ستقنع العالم بأننى جاد فى تهديداتى ، وخاصة عندما ترتبط هذه التهديدات بسلسلة من التجارب العملية ، الكافية لبث الذعر فى القلوب ، فى قارات العالم الست المأهولة(*) .

سألته فى توتر :

- هل تنوى استخدام الغاز بالفعل ؟!

أجابها فى صرامة :

- هذه هى الوسيلة الوحيدة ، لتأكيد جدية الموقف .

ونفث دخان سيجارته فى قوة ، قبل أن يتابع فى اهتمام :

---

(*) قارات العالم الست هى ( إفريقيا ) ، ( آسيا ) ، ( أوروبا ) ، ( أستراليا ) ، ( أمريكا الشمالية ) ، و( أمريكا الجنوبية ) ، وتعتبر القارة القطبية ( انتاركتيكا ) هى القارة السابعة ، ولكنها تضم عدداً محدوداً للغاية من البشر .



- ولكن نجاح العملية كلها يعتمد على الحصول على كميات محدودة من تلك الغازات القاتلة فى البداية ، دون أية مشكلات أو توترات ، ونقلها إلى أماكن إجراء سلسلة التجارب ، فى قارات العالم الست ، بحيث نكون مستعدين للعمل فور القيام بالعملية الكبرى ، وقبل أن تتخذ الدول العظمى أية إجراءات لتأمين نفسها .. هذا سيصنع التأثير المنشود ، بأقصى سرعة ممكنة .

بدت لها خطته جريئة عبقرية ، فرفعت حاجبيها وخفضتهما فى انبهار ، قبل أن تسأله فى شغف :

- وأين ستجرى تجربتك الأولى ؟!

تألقت عيناه بجذل وحشى مخيف ، وهو يلقى سيجارته أرضاً ، ويسحقها بقدمه ، مجيباً فى سادية واضحة :

- هنا .

ثم ازداد تألق عينيه الوحشيتين ، وهو يسألها :

- خمنى .. من سيكون ضحية التجربة الأولى ؟!

قالها ، وتراجع يطلق ضحكة سادية عالية ، فى حين

انعقد حاجبا (زوشا) ، التى أدركت الجواب ، الذى لايحتاج إلى كثير من الذكاء ..

الجواب الذى حمل فى ذهنها صورة فريق خاص جديد ..

فريق مصرى .



* * *







تألقت عيناه بجذل وحشى مخيف ، وهو يلقى سيجارته أرضًا ..

# ٧ـ حرب إليكترونية ..

زفرت (ريهام) فى توتر ، وهى تجلس على مقعد وثير ، فى ذلك المنزل الآمن ، وتراقب (شريف) ، الذى انهمك بحواسه كلها فى العمل الذى أسنده إياه (أدهم) ، وأصابعه تتقافز على أزرار الكمبيوتر النقال فى سرعة ودقة ومهارة ؛ والمعلومات تتراص على شاشة الكمبيوتر ، مع تتابع إبحاره داخل شبكة معلومات جهاز المخابرات الروسى ..

وفى توتر ، غمغمت (ريهام) :

ـ يبدو أننى الوحيدة بدون عمل اليوم .

ابتسم الدكتور (أحمد صبرى) ، قائلاً :

ـ وماذا عنى ؟!

هتفت فى سرعة :

ـ أنت مدنى .



ثم اعتدلت فى حرج ، مستطردة :

ـ معذرة يادكتور ، ولكننى أقصد أن الغرض الرئيسى من وجودك هنا ، طبى بحت ، ألا وهو مد يد العون للقائد ، إذا ما تعرَّض جسده لذلك الانهيار الذى تتوقَّعه .

ابتسم الدكتور (أحمد) فى مرارة ، قائلاً فى خفوت شديد :

ـ هذا لو حدث الانهيار فى ظروف ، يمكننى فيها مد يد العون إليه .

لم يبد أنها قد سمعت تعليقه الخافت ، وهى تتابع فى توتر :

ـ أما نحن ، فالغرض من وجودنا هنا هو أن نقاتل .

غمغم (شريف) ، وهو يواصل عمله على الكمبيوتر فى انتباه :

ـ لاتقلقى .. سيحين دورك قريبًا ، وربما ..

قبل أن يتمَّ عبارته ، اندفع (أسعد) إلى المكان ، هاتفًا فى توتر شديد :

- أغلق هذا الاتصال بسرعة .

التفت إليه (شريف) ، قائلاً في دهشة متوترة :

- مستحيل ! أمن وسلامة القائد يعتمدان على ما أقوم به الآن ، في شبكة معلوماتهم السرية .

هتف (أسعد) في عصبية :

- ولكن المعلومات الواردة من (القاهرة) تؤكد ، أن اختراقك لشبكة معلومات المخابرات الروسية صار أمرًا بالغ الخطورة ، إلى حد مخيف .

رفع (شريف) سبابته ، قائلاً في توتر :

- ربما يجهلون في (القاهرة) أنني أستخدم برنامجًا تمويهيًا خاصًا ، و ....

قاطعه (أسعد) ، وهو يقول في عصبية :

- (المافيا) الروسية استأجرت (فيليب أندرسن) .

لم يكد (شريف) يسمع الاسم ، حتى انتفض جسده كله في عنف ، وهو يهتف في ذهول مذعور :

- الفنلندي ؟!



هتف (أسعد) :

- هو نفسه ، بشحمه ولحمه ..

انعقد حاجبا (شريف) في توتر بالغ ، وهو يدير عينيه إلى شاشة الكمبيوتر النقال ، فسأله الدكتور (أحمد) في قلق :

- من (أندرسن) هذا ؟!

أجابه (شريف) بكل توتر الدنيا ، وهو يتابع ما يظهر على شاشته :

- إنه أبرع أهل الأرض في علم اتصالات الكمبيوتر والشبكات ، ولا أحد يفوق عبقريته ، حتى (بيل جيتس) نفسه(*) ، في هذا المضمار .

ثم هز رأسه ، مستطردًا في أسف :

---

(*) (بيل جيتس) : أشهر مالكي شركات الكمبيوتر والبرمجيات ، وأكثرهم ثراءً ، وهو مؤسس ومالك شركة (ميكروسوفت) ، وصاحب برنامج التشغيل الرئيسي (ويندوز) ، والذي يعد أكثر برامج التشغيل انتشارًا ومبيعًا ، في كل أنحاء العالم .

- ولكننى لم أتصورّ قط أنه من الممكن استئجاره ، بأى ثمن كان .

قال ( أسعد ) فى صرامة :

- سنناقش انبهارك به فيما بعد ، أما الآن فلابد أن تقطع اتصالك بشبكة المعلومات السرية للمخابرات الروسية فورًا .

انفجرت شفتا ( شريف ) ؛ لينطق بكلمة واحدة ، إلا أن ( قدرى ) سبقه إليها ، قائلاً بمنتهى الحزم :

- مستحيل !

ثم اندفع نحوهم ، مستطردًا فى حدة :

- لو أن نجاح ( أدهم ) يعتمد على مايفعله ( شريف ) ، فمن المستحيل أن يتوقّف ، مهما كانت الأسباب .

هتف ( أسعد ) فى غضب :

- مهما كانت الأسباب ؟! يا لها من عبارة سخيفة ، فى موقفنا هذا ! هل تدرك ما الذى يمكن أن يحدث ،



لو لم يقطع اتصاله بهذه الشبكة المعلوماتية السرية فورًا ؟! بكل بساطة ووضوح ، سيتم تحديد موقعنا ، وينقض علينا رجال ( المافيا ) الروسية من كل صوب ، وسيصبح الموت هو المصير المحتوم لنا جميعًا ، وهذا لن يساعد العميد ( أدهم ) أيضًا .

تبادل الكل نظرات شديدة التوتر مفعمة بالقلق والحيرة ..

فما يطلبه ( أسعد ) ، رجل المخابرات المصرية الأوّل فى ( موسكو ) ، منطقى عقلانى تمامًا ، ولكن تنفيذه يندرج حتمًا تحت خانة المستحيل !

فالخطة المعقّدة ، التى وضعها ( أدهم صبرى ) ، والتى خرج لتنفيذها بالفعل ، تعتمد اعتمادًا رئيسيًا على مايفعله ( شريف ) فى شبكة المعلومات السرية ، الخاصة بجهاز المخابرات الروسى ..

وهذا الأمر نفسه يمكن أن يجذب إليهم كل قوى الشر ..

كلها بلا استثناء ..

الأمر الذى اتفقوا عليـه جميعًا ، دون تبـادل كلمة واحدة ، هو أنه من المستحيل أن يتوقّف (شريف) ، مادام القائد يعتمد على استمراره !

ومن المستحيل أيضًا أن يستمر ، مادامت حياتهم جميعًا تعتمد على التوقُّف ..

ومن المحتم إذن أن يتخذوا قرارًا حاسمًا ..

فإما حياتهم ..

أو حياة الأستاذ ..

أستاذهم ..

* * *

لم تكد سيارة مدير المخابرات الروسية تتوقف ، أمام بوّابة مبنى المخابرات ، فى قلب (الكريملين) ، حتى أسرع طاقم الحراسة يفتح لها البوّابة ، التى عبرها سائق السيارة إلى ممر قصير ، توقّف فى نهايته أمام



حاجز معدنى خاص ، فناوله المدير بطاقته الممغنطة المشفّرة الخاصة ، والتقطها السائق ليدسّها فى تجويف رفيع ، فى جهاز فحص خاص ، أضىء مصباحه الأخضر على الفور ، وارتسمت على شاشته صورة المدير ، فانزاح الحاجز المعدنى فى بطء ، واستعاد السائق البطاقة ، وأعادها إلى المدير ، وهو ينطلق عبر الساحة إلى المبنى الرئيسى ، الذى يضمّ مكتب المدير ، وما إن توقّف أمامه ، حتى غادر السيارة فى سرعة ، ودار حولها ليفتح باب السيارة للمدير ، الذى غادرها معقود الحاجبين ، وفى غضب وتوتر واضحين ، واتجه فى خطوات واسعة سريعة إلى المبنى ، قائلاً لأوّل ضابط فى طريقه :

- أريد ( كواليسكى ) فى مكتبى فورًا .

قال الضابط فى سرعة :

- فورًا يا سيّدى .

وراقب المدير ، حتى استقلّ مصعده الخاص ، ثم اتجه إلى السائق ، وسأله فى قلق :

- ماذا به اليوم يا (جريجورى) ؟!

هزّ (جريجورى) كتفيه، وقال :

- من الواضح أنه غاضب للغاية .. إنه لم ينطق حرفًا واحدًا، منذ استقل السيارة عند منزله، حتى وصلنا إلى هنا .. أنت أوّل من يتحدّث إليه، أيها الضابط (ديمترى).

مطّ الضابط شفتيه، مغمغمًا، وهو يسرع لتنفيذ الأمر :

- يبدو أنه سيكون يومًا رديئًا بالنسبة للجنرال (كواليسكى).

لم يمض على قوله هذا ربع الساعة، حتى كان (كواليسكى) يدلف إلى مكتب المدير، وهو يقول فى حذر :

- الضابط (ديمترى) أخبرنى أن ....

قاطعه المدير فى غضب هادر :

- ما الذى تفعلونه هنا بالضبط ؟!



بدت حيرة متوترة على وجه (كواليسكى)، وهو يقول :

- وما الذى نفعله يا سيِّدى ؟!

صاح به فى غضب :

- ذلك الأسير فى القبو .. لماذا تحتفظون به هنا ؟! ولماذا لم يصلنى أى تقرير رسمى بشأنه ؟

قال (كواليسكى) فى عصبية :

- ذلك الأسير هو الورقة الرابحة الوحيدة فى قبضتنا يا سيِّدى، ووجوده هنا مجرَّد كمين لاستدراج رجل المخابرات المصرى (أدهم صبرى).

هتف المدير فى حدة :

- إنه ليس أحمق ليسعى إليه هنا .

قال (كواليسكى) فى سرعة :

- على العكس يا سيِّدى .. لو أنك راجعت ملف (أدهم صبرى) كله، لأدركت أنه حتى الموت لا يمكن أن يمنعه من محاولة إنقاذ زميله .

ارتفع حاجبا المدير ، وهو يقول فى دهشة :

ـ إلى هذا الحد ؟!

هتف ( كواليسكى ) فى انفعال :

ـ وأكثر من هذا ياسيدى .

مطَّ المدير شفتيه ، وغمغم :

ـ كم نحن بحاجة إلى رجال مثله .

لم ترق العبارة للجنرال ( كواليسكى ) ، فغمغم بدوره فى عصبية :

ـ لدينا الأفضل .

ابتسم المدير فى سخرية ، قائلاً :

ـ حقًا ؟!

ثم استعاد صرامته الغاضبة دفعة واحدة ،وهو يضيف :

ـ ولكن وجود هذا الأسير هنا يسبِّب لنا مشكلة ضخمة .



سأله الجنرال فى توتر :

ـ أية مشكلة ؟!

لوَّح بيده ، قائلاً فى حدة :

ـ المصريون اعترضوا رسميًا على هذا الموقف ، وطالبوا ، من خلال قنواتهم الدبلوماسية ، بضرورة نقل رجلهم إلى زنزانة عادية ، والسماح لمحام مصرى بالاتصال به ، و ....

قاطعه (كواليسكى) فى انفعال ، دون أن ينتبه إلى ما فى هذا من تجاوز لكل قواعد اللياقة والرسميات :

ـ محال ! هذا يفسد خطتنا كلها .

صاح به المدير فى غضب :

ـ ليس محالاً يا جنرال ، فالرئيس نفسه طلب نقل الأسير إلى زنزانة عادية ، والسفير المصرى ينتظر حدوث هذا ، حتى يرسل إليه المحامى .

هزَّ (كواليسكى) رأسه فى قوة ، قائلاً :

- خطأ ياسيادة المدير .. خطأ .. صدقنى .. لو حدث هذا فلن يربح منه سوى ( أدهم ) نفسه .. وجود ذلك الأسير هنا يجعلنا أكثر تفوقًا .. حاول أن تنقل هذه الصورة إلى الرئيس ؛ ليدرك أننا لم نتخذ هذا القرار عبثًا أو تعنتًا .

زفر المدير فى توتر ، وقلب كفيه ، قائلاً فى عصبية :

- لست أدرى ماذا نفعل بالضبط ؟! الرئيس قال : إنه سيرسل مندوبًا خاصًا ، للقاء ذلك الأسير المصرى هنا ، فى مكتبى ، ولايمكننى أن أخبره عندما يأتى ، أن الأسير ما زال فى زنزانته الإليكترونية ، فى قبو المبنى .

انعقد حاجبا ( كواليسكى ) بشدة ، وهو يغمغم :

- مندوب خاص ؟!

ثم سأل المدير فى لهفة :

- أأنت واثق من أن الرئيس نفسه هو الذى قال هذا ؟!



حدّق المدير فيه بحيرة ، قائلاً :

- ماذا تعنى ؟!

سأله فى انفعال :

- أعنى هل اتصلت به أم اتصل بك ؟!

لوّح المدير بذراعيه ، قائلاً فى عصبية :

- هو الذى أجرى اتصاله ، وماذا فى هذا ؟!

مال ( كواليسكى ) نحوه ، يسأله فى حزم مفتعل :

- كم مرة اتصل بك الرئيس شخصيًا ، منذ تولّى منصبه ، حتى فى أحلك الموقف .

انعقد حاجبا المدير ، وهو يفكّر فى عمق ، قبل أن يجيب فى قلق :

- مرة واحدة .

تراجع ( كواليسكى ) ، هاتفًا فى حماسة :

- أرأيت ؟!

هتف المدير بدوره فى عصبية :

ـ رأيت ماذا ؟!

عاد ( كواليسكى ) يميل نحوه ، قائلاً فى انفعال :

ـ من تحدث إليك ليس الرئيس بحق .

رمقه المدير بنظرة متشككة قلقة ، قبل أن يقول فى حدة :

ـ وكيف هذا ؟! إننى أعرف صوته جيدًا ، ثم إنه قد حدثنى عبر الخط الساخن(*) مباشرة .

قال ( كواليسكى ) فى حزم :

ـ أنت تعلم أن ( أدهم صبرى ) خبير فى تقليد الأصوات بدقة مدهشة ، كما يؤكد ملفه ، وكما تؤكد خبرات من تعاملوا معه ، أما بالنسبة للخط الساخن ، فذلك الخبير الشاب فى فريقه يمكن صنع أمور يعجز عن هضمها العقل .

---

(*) الخط الساخن : خط هاتفى مباشر ، بين اثنين من كبار المسئولين ، مصمم بحيث يتم الاتصال ، فور رفع سماعة أحد الهاتفين ، دون الحاجة إلى إدارة أية أزرار أو أقراص .



ثم لوّح بذراعه فى انفعال ، مستطردًا :

ـ أراهنك على أن ذلك المندوب المزعوم ، الذى سيأتى لمقابلة أسيرنا فى مكتبك ، ليس إلا ( أدهم صبرى ) متنكرًا ، وذلك الاتصال الزائف مجرد خدعة ، لتخرج الأسير من سجنه الإليكترونى ، حتى يصبح من السهل عليه أن يستعيده ، دون أن يضطر لخوض حرب إليكترونية معقدة ، وغير مضمونة النتائج ، و ....

قاطعه رنين هاتفه الخاص بغتة ، فبتر عبارته ، والتقطه بحركة سريعة ، قائلاً فى صرامة منفعلة :

ـ ( كواليسكى ) .

انعقد حاجباه فى شدة ، وهو يستمع إلى محدثه ، فسأله المدير فى قلق :

ـ ماذا هناك ؟!

أنهى الاتصال ، وهو يجيب فى عصبية :

ـ يبدو أن خبيرهم قد تسلل إلى شبكة أمننا ، ويحاول إبطال عمل كل وسائل الأمن ، فى الزنزانة والممر .

هتف المدير :

ـ هذا يتعارض مع نظريتك .. لو أن ( أدهم صبرى ) متنكرٌ فى هيئة مندوب الرئيس الخاص ، ويسعى لأخذ الأسير من مكتبى ، فلماذا يحاول خبيره إبطال عمل وسائل الأمن فى القبو ؟!

انعقد حاجبا ( كواليسكى ) ، وهو يقول :

ـ هناك حتمًا تفسير لهذا .

ضرب المدير سطح مكتبه بقبضته ، قائلاً فى صرامة :

ـ وحتى تجد ذلك التفسير الوهمى ، ستدار الأمور هنا بأسلوبى الخاص .

ثم اعتدل ، مستطردًا بلهجة صارمة غليظة آمرة :

ـ ستخرجون الأسير من زنزانته ، وتحضرونه إلى مكتبى ..

هتف ( كواليسكى ) معترضًا :



ـ سيادة المدير .. لو أنـ ....

قاطعه المدير بإشارة صارمة من يده ، متابعًا بنفس اللهجة :

ـ وعندما يصل المندوب الخاص للرئيس ، ستقومون بتفتيشه ، ومراجعة أوراقه والتأكد من هويته بكل وسيلة ممكنة ، فإذا ما ثبت أنه مسئول حقيقى ، سيأتى إلى مكتبى ، ليجد الأسير فى انتظاره ، أما لو كان ( أدهم صبرى ) ....

بتر عبارته ، والتقط نفسًا عميقًا ، قبل أن يضيف فى صرامة :

ـ فهو لكم .

وعلى الرغم من أن هذا الوضع لم يكن مثاليًا ، بالنسبة لما خطط له ( كواليسكى ) مسبقًا ، إلا أنه قد بدا له مناسبًا وعادلاً إلى حد كبير ؛ فعلى الأقل لديه احتمال قائم بأن يقضى على قائد الفريق الانتحارى المصرى شخصيًا ..

على (أدهم) ..

(أدهم صبرى) ..

* * *

فى براعة مبهرة ، راحت أصابع خبير الكمبيوتر والاتصالات الفنلندى تجرى على أزرار الكمبيوتر ، وهو يطالع شاشته فى اهتمام وتركيز شديدين ، قبل أن ينعقد حاجباه ، ويغمغم فى حيرة :

ـ عجبًا !

سأله الضخم (أيجور) فى غلظة ، بلغة إنجليزية ركيكة :

ـ ماذا هناك ؟

أشار (أندرسن) إلى شاشة الكمبيوتر ، قائلاً :

ـ وفقًا لما أسجله هنا ، فعملية اختراق شبكة معلومات المخابرات الروسية لاتتم فى مكان محدود .

سأله (أيجور) فى حيرة :



ـ ماذا تعنى ؟!

هزّ الفنلندى كتفيه ، مجيبًا :

ـ وفقًا للإحداثيات المتغيرة ، فإنهم يستخدمون جهاز كمبيوتر نقّال ، يتصل بهاتف محمول ، عن طريق بطاقة اتصال خاصة ، من إنتاج الشركة التى أعمل لحسابها على الأرجح(*) .

زمجر (أيجور) ، قائلاً فى شراسة :

ـ أنت تعمل لحسابنا الآن .

تجاهل (أندرسن) هذه العبارة الغبية ، وهو يتابع الإحداثيات على الشاشة ، مكملاً :

ـ إنهم يحاولون منعنا من تحديد موقعهم بدقة .

سأله (أيجور) فى خشونة :

(*) أنتجت شركة (نوكيا) الفنلندية بطاقة اتصال خاصة ، يتم توصيلها بأجهزة الكمبيوتر النقالة ، لتحولها إلى هاتف خلوى ، بكل إمكانيات الكمبيوتر ، وسعة ذاكرته الضخمة ، وهذه البطاقة لديها القدرة على الاتصال بشبكات الإنترنت والمعلومات لاسلكيًا ، عن طريق الأقمار الصناعية .

- وهل بإمكانهم هذا ؟!

صمت ( أندرسن ) مراقبًا الشاشة بضع لحظات ، قبل أن يجيب :

- إلى حد ما .

ثم استدرك فى سرعة ، وهو يعاود العمل على أزرار الكمبيوتر :

- ولكن ليس مع خبير مثلى .

فغر ( أيجور ) فاه ، وهو يتابع ما يفعله الرجل بجهاز الكمبيوتر ، واستغلق عليه فهم أو استيعاب حركة واحدة ، فهزّ رأسه فى قوة ، وكأنما يحاول استعادة ثقته بنفسه ، وهو يسأل فى غلظة :

- هل يعنى هذا أننا لا نستطيع تحديد موقعهم ، قبل أن ينتهى الاتصال ؟!

أجابه ( أندرسن ) ، وهو منهمك فى عمله :

- لو أنهم يستخدمون أحد هواتف الأقمار الصناعية ،



فسيمكننا تحديد المنطقة التى تتحرك فيها سيارتهم ، خلال ثلاث دقائق على أقصى تقدير .

عاد ( أيجور ) يزمجر ، دون سبب منطقى ، وهو يسأل :

- وماذا عن مخبئهم الرئيسى ؟!

التفت إليه ( أندرسن ) ، يسأله فى حيرة :

- أى مخبأ ؟!

أجابه فى عصبية ، ليس لها ما يبرّرها أيضًا :

- المكان الذى كانوا يختبئون فيه ، والذى بدءوا منه اتصالاتهم ، قبل أن ينتقلوا إلى تلك السيارة ، التى تتحدث عنها .

تطلّع إليه الفنلندى بضع لحظات ، فى صمت وتفكير ، قبل أن يسأله فى اهتمام بالغ :

- هل سجلتم كل محاولات الاختراق السابقة ؟!

أجابه ( أيجور ) فى سرعة :

ـ بالتأكيد .

ثم أدار عينيه إلى شاشة الكمبيوتر ، مستطردًا فى انزعاج :

ـ ماذا حدث ؟!

رفع الفنلندى عينيه إلى الشاشة ، وانعقد حاجباه ، وهو يتمتم :

ـ لقد أوقفوا الاتصال مؤقتًا .

ثم هزّ رأسه ، متابعًا برنة إعجاب واضحة :

ـ إنهم يعلمون .

سأله ( أيجور ) فى عصبية :

ـ يعلمون ماذا ؟!

أشار ( أندرسن ) إلى الشاشة ، مجيبًا بابتسامة كبيرة :

ـ يعلمون أننى هنا .

انتفض جسد ( أيجور ) فى دهشة ، وهو يهتف :



ـ يعلمون أنك هنا ؟! مستحيل !

تابع ( أندرسن ) ، وكأنه لم يسمعه :

ـ خبيرهم هذا موهوب وعبقرى بحق .. وأفضل ما فيه هو أنه يتابع آخر أخبار التطوّرات ، فى عالم الكمبيوتر والاتصالات ، وهذا يبدو واضحًا فى أسلوبه البارع ، عندما انتقل من ذلك المنزل إلى سيارة متحركة ، مستخدمًا ....

قاطعه ( أيجور ) بزمجرة شرسة ، قبل أن يهتف فى حدة :

ـ المهم .. هل يمكنك تحديد موقع ذلك المنزل أم لا ؟

التفت إليه الفنلندى بنفس الابتسامة الكبيرة ، وهو يجيب :

ـ ولِمَ لا ؟!

ثم التقط نفسًا عميقًا ، قبل أن يستطرد فى استمتاع :

ـ إنها أفضل لعبة قمت بها ، منذ وقت طويل .

نطقها وعيناه تلتمعان على نحو مدهش ، وكأنما يشعر بكل متعة الدنيا ، وهو يخوض صراعًا بين عقل ..

وعقل ..

* * *

لثلاث مرات على الأقل ، طوال الطريق ، فى زنزانته الإليكترونية ، وحتى مكتب مدير المخابرات الروسية ، وعلى الرغم من طاقم الحراسة المحيط به فى صرامة وتحفز ، راودت ( علاء ) فكرة محاولة الفرار من الموقف كله ..

وبتلقائية غريزية ، راح يدرس الموقف كله ، بحثًا عن ثغرة يمكن النفاذ منها ، إلى عالم الحرية ..

ولكن هذا بدا له مستحيلاً إلى حد كبير ..

وعلى الرغم من هذا ، فقد عاد يدرس الموقف ..

ويدرس ..

ويدرس ..



« لقد اتخذنا كل الاحتياطات الممكنة ، ولن تجد سبيلاً واحدًا للفرار .. » ..

نطقها ( ليبروسكى ) ، كما لو أنه قد قرأ أفكاره ، فتمتم ( علاء ) فى سخرية :

ـ وماذا لو وجدت ثغرة ما ؟!

أجابه ( ليبروسكى ) فى صرامة :

ـ فى هذه الحالة ، الأفضل أن نطلق النار عليك ، فأسير ميت أفضل من أسير هارب .

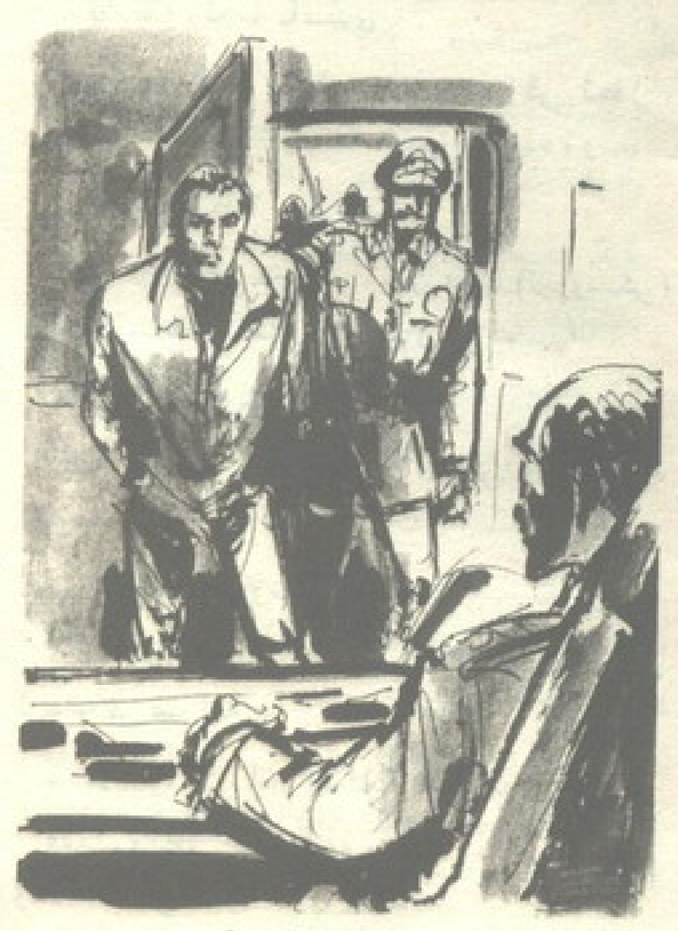
أسير ميت ؟!

يا لها من فكرة !

ربما كان هذا هو الحل الوحيد بالفعل ..

محاولة يائسة للفرار ، ورصاصات تحصد روحه ، ولا تعود هناك ضرورة للمجازفة بمحاولة إنقاذه ، بكل ما ستحمله للأستاذ والفريق من مخاطرة جمة رهيبة ..

راودته الفكرة بجدية ، وراح يتساءل عما ستصنف به فعلته هذه ، لو أقدم عليها فعليًا ؟!



ودفعه داخل حجرة مدير المخابرات الروسية .

هل ستعَد انتحارًا وكفرًا برحمة الله ( سبحانه وتعالى ) ، وقدرته ( عزّ و جلّ ) ، أم أنه سيعدّ شهيدًا ؛ إذا ما ضحّى بحياته فى سبيل رفاقه ؟!

قبل أن يحسم عقله الأمر ، توقّف الكل فجأة ، وقال ( ليبروسكى ) فى صرامة :

ـ استعد يا هذا .. ستلتقى بالمدير شخصيًا .

شىء ما فى أعماق ( علاء ) جعل كل ذرة فى كيانه تتوتّر بشدة ، وتترقّب حدوث أمر ما ..

أمر لم يدر كنهه بالضبط ..

ولكن ( ليبروسكى ) فتح الباب ..

ودفعه داخل حجرة مدير المخابرات الروسية ..

وفى هدوء ، تطلّع إليه المدير ، قبل أن يسأل ( ليبروسكى ) فى حزم :

ـ أهذا هو ؟!

أجابه ( ليبروسكى ) فى سرعة :

- بشحمه ولحمه يا سيِّدى .

كان رجال الأمن يحيطون بـ ( علاء ) فى تحفز ، وفوهات مدافعهم الآلية تكاد تلتصق بجسده ، و ....

« اتركونا وحدنا .. » ..

نطقها المدير فى حزم آمر ، جعل حاجبا (ليبروسكى) يرتفعان بدهشة بالغة ، وهو يقول فى عصبية :

- وحدكما ؟! ولكن ..

هبَّ المدير من خلف مكتبه ، صائحًا فى صرامة غاضبة :

- وحدنا يا (ليبروسكى) .

تردَّد الرجل لحظة ، ثم لم يلبث أن تراجع وقال لرجاله فى صرامة :

- احرصوا على أمن وسلامة السيِّد المدير .

قالها ، وأغلق الباب خلفه ، تاركًا ( علاء ) والمدير وحدهما ، فى حجرة مكتب الأخير ..



ولثوان ، تطلَّع كل منهما إلى الآخر فى صمت ، قبل أن يبتسم المدير ، قائلاً :

- كيف حالك يا بطل ؟!

وانعقد حاجبا ( علاء ) فى شدة ..

فذلك الاستقبال كان مفاجئًا ..

مفاجئًا بحق ..

وإلى أقصى حد ..

* * *

« جريئة للغاية خطة ( أدهم ) هذه .. »

نطق (قدرى) العبارة فى توتر عصبى ، وهو يدور فى المكان كدب جريح ، فتابعه الدكتور (أحمد) بنظره بضع لحظات فى صمت ، قبل أن يقول فى قلق :

- منذ حداثتنا وأنا أتساءل : كيف يمكنه أن يفعل هذا ، فحتى فى دعاباته كان يقنع أصدقائى أحيانًا بأنه أنا ، ولم يكشف أيهم أمره قط .

لوّح ( قدرى ) بيده ، قائلاً فى حدة :

- إنها ليس دعابة هذه المرة .

وبدا صوته أقرب إلى البكاء ، وهو يضيف فى مرارة :

- إنه ينتحل شخصية مدير المخابرات الروسية نفسه .

غمغم الدكتور ( أحمد ) ، وهو يقاوم ذلك الفزع فى أعماقه :

- إنه قادر على إقناعهم .

ثم ازدرد لعابه فى صعوبة ، مضيفًا :

- لو سار كل شىء على ما يرام .

هتف ( قدرى ) فى عصبية :

- أرأيت ؟! أنت قلتها .. لو سار كل شىء على ما يرام .



خُيّل للدكتور ( أحمد ) أن لعابه قد تحوّل إلى حجر خشن ، وهو يحاول دفعه بصعوبة عبر حلقه ، قائلاً فى خفوت :

- اهدأ وتماسك يا صديقى ، ففى موقفنا هذا ، ليس بيدنا ما نفعله ، وكل ما علينا هو الانتظار .

غمغم ( قدرى ) ، فى صوت أشبه بالبكاء :

- نعم .. الانتظار .

وترك جسده الضخم يهوى على مقعد قريب ، وهو يضيف فى مرارة :

- والقلق ..

ربّت الدكتور ( أحمد ) على كتفه ، محاولاً تهدئته ، وهو يغمغم :

- عندما تصبح جزءًا من لعبة بالغة الخطورة كهذه ، فلابد أن تعتاد قواعدها ومتاعبها .

التقط ( قدرى ) نفسًا عميقًا ، بدا مرتجفًا كجسده ، قبل أن يغمغم فى أسى :

- إننى أحاول .

كان من الواضح أن مشاعره المرهفة تقاوم انفعالاً يجثم على صدره ، وهو يجاهد لمنع دموعه من إغراق وجهه ، و ...

وفجأة ، ارتفع صوت طرقات قوية على الباب ..

وبلهفة زائدة ، هبَّ ( قدرى ) من مقعده ، واندفع نحو الباب ، هاتفًا :

- لقد عادوا .

صاح به الدكتور ( أحمد ) فى ارتياع :

- انتظر .. إنها ليست الطرقة المتفق عليها .

ولكن عبارته ضاعت فى الهواء ، ولم تبلغ أذن ( قدرى ) ، الذى دفعته لهفته إلى فتح الباب بالفعل ، و ....

وانتفض جسده وجسد الدكتور ( أحمد ) فى عنف ، عندما ارتفعت فوهات خمسة مدافع آلية فى وجهيهما ،



مع صوت ( أيجور ) الخشن الجاف ، وهو يقول فى ظفر غليظ كملامحه :

- آه .. من الواضح أن ذلك الفنلندى عبقرى بحق .

ثم انطلقت من حلقه ضحكة عالية مجلجلة ..

ضحكة وحش ..

ظافر ..

* * *

ضغط (شريف) أزرار الكمبيوتر النقَّال مرة أخرى ، داخل السيارة الصغيرة ، التى تدور بها (ريهام) فى شوارع ( موسكو ) ، ليعاود اختراق شبكة المعلومات الروسية السرية ، وهو يغمغم فى توتر :

- أتعشَّم أن يفلح هذا الأسلوب فى تشتيت ( أندرسن ) .

سألته ( ريهام ) فى اهتمام :

- أهو عبقرى بحق ، كما تصفه دومًا ؟!

هزَّ رأسه مجيبًا فى انفعال :

- أكثر مما تتصوَّرين .

وعاد يعمل على أزرار الكمبيوتر النقَّال ، متابعًا فى توتر :

- لهذا كان من الضرورى أن نترك المنزل الآمن ، وأن نواصل عملنا من مصدر متحرك ، حتى تتحقَّق المعادلة الصعبة ، فنفعل ما طلبه الأستاذ ، ونبعد الخطر عن الآخرين فى الوقت ذاته .

سألته فى تردُّد :

- وهل تعتقد أن هذا الأسلوب سينجح ؟!

مطَّ شفتيه ، مغمغمًا :

- مع عبقرى اتصالات ، مثل (فيليب أندرسن) ، لايمكنك توقُّع أى شىء أو حتى ....

قاطعه هتافها المباغت :

- يا إلهى !



رفع عينيه فى سرعة عن شاشة الكمبيوتر النقَّال ، وانعقد حاجباه فى شدة ، وهو يتطلَّع إلى دورية الشرطة ، التى تعترض طريقهما ، والضابط الذى يلوِّح لهما بالتوقُّف فى صرامة ، وهو يمسك مدفعه الآلى فى تحفزٌ ، فى حين سألته ( ريهام ) فى توتر شديد :

- هل نتوقَّف ، أم نقتحم الكمين ، وليحدث ما يحدث ؟!

أغلق جهاز الكمبيوتر النقَّال ، ودسَّهُ أسفل مقعده ، وهو يجيبها فى حزم :

- السيارة تحمل أرقامًا دبلوماسية ، وعلى مقدمتها علم (إسبانيا) ، والسيِّد (قدرى) أعطانا جوازات سفر دبلوماسية إسبانية ، ومن الناحية القانونية ، ليس من حقهم حتى إجبارنا على مغادرة السيارة .

زفرت فى قوة ، فى محاولة للسيطرة على أعصابها ، وهى تضغط فرامل السيارة فى بطء ، لتوقفها على مسافة متر واحد من الضابط ، الذى أشار إلى رجاله

بالالتفاف حولها ، قبل أن يتجه نحو (ريهام) مباشرة ، ويميل ليلقى نظرة عليها ، ثم يبتسم ابتسامة لاتحمل ذرة واحدة من المودّة ، وهو يقول :

ـ آه .. التقرير صحيح بالتأكيد .

كانت ( ريهام ) متنكرة فى هيئة إسبانية ، لذا فقد أدهشتها عبارة الضابط ، وجعلها تقول بالإسبانية فى توتر :

ـ ماذا هناك أيها الضابط ؟!

هزّ الرجل رأسه ، واتسعت ابتسامته الذئبية ، وهو يقول :

ـ بالإنجليزية ياسيّدتى .. لو أنك لاتجيدين الروسية ، فأنا أفضل الإنجليزية .

أبدلت لغتها ، لتسأله فى حدة :

ـ لماذا توقفنا ؟! هل تعلم أن القانون لايمنحك حق توقيفنا ، مادامت سيارتنا تحمل أرقامها الدبلوماسية فى وضوح .



وأضاف ( شريف ) مصطنعًا الصرامة :

ـ كل رجل شرطة فى العالم يعرف هذا جيدًا .

بدت ابتسامة الرجل مخيفة ، وهو يقول :

ـ لا تجعل المظاهر تخدعك .

قبل أن يفهم أحدهما ما يعنيه ، اندفعت يده بغتة عبر النافذة المفتوحة ، بهراوة صغيرة ثقيلة ، هوى بها على مؤخرة رأس ( ريهام ) فى عنف ، جعل جبهتها ترتطم بمقود السيارة ، لتفقد وعيها على الفور ..

وبمنتهى العصبية ، تحرك ( شريف ) ..

ولكن فجأة ، تحطّم زجاج النافذة المجاورة له ، والخلفية ، وزجاج السيارة الأمامى ، وتناثرت قطع الزجاج الصغيرة فى وجهه ، وفوهات المدافع الآلية تندفع ، عبر النوافذ المكسورة ، لتتجه نحو رأسه مباشرة ، والرجل يكمل ساخرًا :

ـ فلسنا رجال شرطة فى الواقع .

رفع (شريف) يديه مستسلمًا ، وهو يلهث فى انفعال عجيب ، فى حين اعتدل الشرطى الزائف ، والتقط هاتفه المحمول ، وطلب رقمًا خاصًا ، ولم يكد يسمع صوت محدثه ، حتى ابتسم ابتسامة ظافرة كبيرة ، وقال :

ـ الفنلندى أثبت أنه يستحق كل سنت تقاضاه بالفعل أيها الزعيم .. لقد وقع الصيد فى قبضتنا بالفعل .

ولهث (شريف) أكثر ، وهو يسمع العبارة الأخيرة ..

فبالنسبة إليه ، ووفقًا لكل الملابسات المحيطة به ، كانت ( المافيا ) الروسية قد انتصرت فى الجولة الأخيرة ..

وبشدة ..

* * *



انعقد حاجبا ( كواليسكى ) فى توتر ، وهو يستمع إلى رواية ( ليروسكى ) ، الذى ختم حديثه بقوله العصبى :

ـ لست أدرى ماذا أصاب المدير اليوم ؟! إنه يتصرَّف بغرابة وغموض لم أعهدهما فيه من قبل قط .

غمغم ( كواليسكى ) فى عصبية :

ـ يبدو مختلفًا .. أليس كذلك ؟!

هتف ( ليروسكى ) :

ـ بالتأكيد .

انعقد حاجبا ( كواليسكى ) أكثر ، وهو يغمغم متوترًا :

ـ هذا يضع فى ذهنى احتمالاً أخشى مجردُ التفكير فيه ، أو حتى ..

قبل أن يتمَّ عبارته ، ارتفع فجأة رنين هاتفه

الخلوى ، فالتقطه فى سرعة ، وقال وهو يضغط زر الاستقبال فى حزم :

- ( كواليسكى ) .

باغته صوت المدير ، وهو يهتف فى انفعال جارف :

- (كواليسكى) .. اطلب من طاقم حراسة المبنى منعى من الدخول لأى سبب .

قال ( كواليسكى ) بدهشة عارمة :

- منعك من ماذا ؟!

هتف المدير فى حدة :

- إنه ذلك المصرى يا (كواليسكى) .. لقد انتحل شخصيتى ، واستولى على بطاقتى الممغنطة الخاصة ، بعد أن أفقدنى الوعى ، ولست أجد سائقى أو سيارة العمل هنا ، أخشى أن ....

قاطعه ( كواليسكى ) بصيحة هادرة :



- يا للشيطان !

ثم تابع بانفعال عصبى جارف :

- إنه هنا بالفعل يا سيدى .. هنا مع الأسير .

صرخ المدير فى ذعر :

- يا للكارثة !

ثم أضاف فى سخط عصبى :

- امنعه من الخروج بأى ثمن يا ( كواليسكى ) .. أنا فى طريقى إليك بسيارتى الخاصة .. سأصل بعد دقيقة واحدة .. اتخذ كل ما يلزم للسيطرة على الموقف ، حتى أصل إلى المبنى .

كادت أصابع ( كواليسكى ) تسحق هاتفه المحمول ، وهو يقول فى غضب شديد :

- اطمئن يا سيادة المدير .. لن يغادر المكان إلا على جثتى .

أنهى المحادثة ، وصاح بمعاونه ( ليبروسكى ) :

ـ الرجل الذى تركت الأسير فى حجرته ليس مديرنا الحقيقى .

اتسعت عينا (ليبروسكى) عن آخرهما ، وارتدّ كالمصعوق ، وهو يهتف بكل ذعر الدنيا :

ـ مستحيل !

سحب (كواليسكى) مسدسه بحركة غريزية ، وهو يقول فى صرامة عصبية :

ـ مر أفضل وأقوى رجالنا بمحاصرة المبنى ، الذى يحوى مكتب المدير ، وأخبرهم أن من واجبهم إطلاق النار فورًا ، على كل مكان يحاول الخروج منه أو مغادرته بالقوة ، وضع فريقًا من المحترفين فى الممر الخاص بحجرة المكتب ، واطلب من وحدة الأمن الإليكترونى تشغيل كل نظم الحماية والمراقبة ، والتأكد من كهربة مداخل وممرات التهوية .. لا أريد منحه ثغرة تكفى لفرار فأر صغير أجرب .

أسرع (ليبروسكى) لتنفيذ الأوامر فورًا ، فى نفس



اللحظة التى ظهرت فيها سيارة المدير الخاصة ، وهى تندفع نحو البوّابة الرئيسية للمبنى ، فهتف الجنرال ( كواليسكى ) فى طاقم الحراسة :

ـ افتحوا البوّابة للمدير .

ظهر التردُّد والتوتر على وجوه الرجال ، مع الأوامر الصارمة لديهم ، التى تحتم عدم السماح لأى مخلوق بدخول المبنى ، ما لم يحمل بطاقة هوية مغنطيسية ، أو تصريحًا رسميًا من أحد الجنرالات ، ولكن ( كواليسكى ) صرخ فيهم بغضب هادر :

ـ افتحوا الأبواب .. سأتحمّل المسئولية كاملة .

أسرع الرجال يفتحون البوّابة أمام سيارة المدير الخاصة ، التى عبرت فى سرعة ، لتتوقّف على مسافة متر واحد من ( كواليسكى ) ، ثم يثب منها المدير بشعر أشعث ، وكدمة واضحة فى جبهته ، وهو يهتف :

- لا تسمحوا له بالخروج يا (كواليسكى) .. ستصبح أكبر مهزلة فى تاريخنا كله ، لو استطاع دخول عريننا ، والخروج منه مع أسيرنا ، ساخرًا من نظم أمننا ، وعقلياتنا ، وكل ما صنعناه فى حياتنا .

انعقد حاجبا ( كواليسكى ) فى شدة ، وهو يضع يده على كتف المدير فى قوة ، محاولاً تهدئة انفعاله الشديد ، ويلوّح بمسدسه فى اليد الأخرى ، قائلاً بكل حزم وصرامة الدنيا :

- اطمئن يا سيّدى .. حتى ولو اضطررنا لنسف المبنى كله ، لن نسمح بخروج ( أدهم صبرى ) أو أسيرنا من هنا ، على قيد الحياة .

الأسلوب الذى نطقها به كان يعنى أن ( أدهم صبرى ) لم يعد يواجه فريقًا من المحترفين فحسب ، بل صار عليه أن يدير أكثر مواجهات حياته عنفًا وشراسة ، ضد جهاز مخابرات كامل ..



أقوى جهاز مخابرات فى ( آسيا ) كلها ..

وهذا يعنى أن أبواب الجحيم كلها قد انفتحت أمامه على مصراعيها ..

وبمنتهى العنف .

* * *

**انتهى الجزء الثانى بحمد الله**

**ويليه الجزء الثالث بإذن الله**

**( مدينة الذئاب )**

# المغامرة الكبرى

- ما مصير (أدهم صبرى) وفريقه .. بعد انفجار سيارة الأمن .. فى قلب (موسكو) ؟!
- كيف يدير زعيم (المافيا) الروسية اللعبة .. بعد أن سيطر على الموقف بالفعل ؟!
- ترى هل يمكن أن يتصدى فريق محدود لدولة بأكملها ؟! .. ومن يربح هذه (المغامرة الكبرى) ؟!
- اقرأ التفاصيل المثيرة .. وقاتل بعقلك وكيانك مع الرجل .. (رجل المستحيل) ..



د. نبيل فاروق

## رجل المستحيل

سلسلة روايات بوليسية للشباب زاخرة بالأحداث المثيرة

**136**

الثمن فى مصر ٢٥٠ وما يعادله بالدولار الأمريكي فى سائر الدول العربية والعالم

مطابع المؤسسة العربية الحديثة



العدد القادم

مدينة الذئاب